

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة عبد الرحمن ميرة - بجاية -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

التداولية عند علماء الأصول

الشوكاني - أنموذجا - .

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إشراف الأستاذ:

عطاء الله بوسالمي

إعداد الطالبين:

بهلول اليزيد

بن عبد العزيز فرحات

السنة الجامعية: 2017/2016

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح

الأمين على قلبك لتكون من المنذرين

﴿ بلسان عربي مبين

الآية: 192 - 193 - 194 - 195 من سورة الشعراء.

كلمة شكر و تقدير

بسم الله الذي وهبنا القوة و الإرادة و الصبر لانجاز هذا العمل المتواضع ولا نمك إلا

أن نتوجه بخالص الشكر إلى كل يد ساهمت في انجازه وإلى كل صاحب فكرة أو رأي فتح

أمامنا آفاقا و مجالات أوسع للمعرفة ويسعدنا أن نتقدم بالشكر و التقدير إلى الأستاذ

" الفاضل عطاء الله بوسالمي " الذي أشرف على تأطيرنا وما لقيناه منه من

ارشادات ونصائح وتوجيهات بكل صدق وإخلاص، فله جزيل الشكر.

كما أتقدم بالشكر إلى كل الأساتذة و الزملاء دون استثناء.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

.....

إلى من كان حنانها يغمرنى وحبها يرويني وحننها يدفنني....إلى أحن نساء الكون أُمي.

إلى من تعب على تعليمي وعمل المستحيل لتوفير راحتي....إلى سر وجودي أبي الغالي.

إلى بقية أفراد عائلتي من أكبرهم إلى أصغرهم ومن أقربهم إلى أبعدهم.

إلى الأستاذ المشرف عطاء الله بوسالمي على تشجيعاته المؤثرة.

إلى أصدقائي: فريد، بوخلفة، لمين، فوضيل، مزيان، شافع، العربي، أمازيغ.

إلى كل من ساعدني في هذا البحث ولو بكلمة.

.....

و إلى كل من أحنني و تمنى لي النجاح.

..... فرحات.....

إهداء

إلى كل الأصدقاء و الزملاء الذين لم يبخلو بجهدهم ولم يتوانوا بتسخير كل ما لديهم،

من نصح وإرشاد وإلى أوليائنا و إخواننا الذين أمدوا لنا كل المساعدة و تقاسموا معنا

متابع فترة البحث و الدراسة، إلى أزواجنا و أبنائنا الذين تحموا منا تقصيرنا اتجاههم،

إلى كل هؤلاء نهدي لهم هذا العمل المتواضع.

...بهلول اليزيد...

المقدمة

مقدمة:

تعتبر اللغة من أهم الظواهر الإنسانية التي لا يمكن الاستغناء عنها في كل الظروف و الأحوال، هي قاطرة لكل العلوم الأخرى مما جعلها مجالاً خصباً للبحث و الدراسة منذ القدم إلي يومنا هذا.

اتخذ البحث اللغوي طابعه الرسمي علي يد اللساني السويسري دي سوسير 1857-1913، بعد نشر محاضراته من قبل طلابه تحت عنوان محاضرات في اللسانيات العامة، فاتخذ اللغة موضوعاً للسانيات الحديثة بوصفها نظاماً نحويًا موجوداً بالقوة في حياتنا، وأبعد الكلام عن الدراسة واعتبره تابعاً للغة فهو تأدية فردية لقوانينها، بحيث يمثل الجانب الفردي منها الموجود بالاستعمال و به يتحقق التفاعل الاجتماعي.

ومن خصمه تظهر و تتجلى **التداولية** التي أعادت له الاعتبار و حضي بعد ذلك بدراسة شافية وافية من قبل علماء اللغة وفلاسفتها الكبار.

إن **التداولية** تنظر إلى اللغة باعتبارها نشاطاً وليست مجرد بنية و نظاماً مغلقاً، بل هي وسيلة تواصل و اتصال مع الغير و لا يتحقق هذا النشاط إلا من خلال الاستعمال اليومي المستمر من قبل المتكلمين في سياق معين.

تهتم بعناصر التخاطب وكيان الخطاب، فتراعي مقاصد المتكلم ونواياه، وظروف المستمع وحاله، فهي تعني بكل ما يتعلق بالعمل الخطابي بحثاً عن المعنى، وضماناً للتواصل.

بين أحضان فلسفة اللغة نشأة التداولية وخاصة الأفعال الكلامية لاسيما عند جون أوستين الذي بدأ أثر فتغنشتاين واضحا عليه في كتابه عندما يكون القول هو الفعل ثم تبعه جون سيرل الذي ألف أفعال الكلام.

ويعد أوستين وتلميذه سيرل من أبرز مؤسسي التداولية، ثم تبعهم في تطوير هذا المنهج الفيلسوف بول غرايس في جهوده الكبيرة التي طور بها الدرس التداولي، و لاسيما في حديثه عن مبادئ المحادثة.

و تظهر قيمة التداولية عند العلماء العرب خاصة عند علماء الأصول، في اشتغالهم على اللغة و ربطها بالسياق كذلك، وكون القرآن الكريم نزل باللسان العربي المبين، وهو ما يفسر لنا أنّ في أحضان النص القرآني، نشأت علوم اللغة من النحو، و البيان و الدلالة و علوم التفسير، لأن الجامع المشترك بين هذه العلوم، هو الفهم و البيان لمعاني كتاب الله عزّ و جلى، وهذا ما يفسر لنا اتساع البحث الأصولي وشموليته، فأين تتجلى التداولية عند علماء الأصول، خاصة عند الإمام الشوكاني - رحمه الله - و بالضبط في كتابه: " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ".

قسمنا هذا البحث إلى مقدمة، و فصل نظري و آخر تطبيقي، و خاتمة.

المقدمة: فيها تطرقنا إلى موضوع البحث، وخطته وأهدافه.

الفصل الأول: تحت عنوان ماهية التداولية، عالجتنا من خلاله ماهية التداولية وحدودها، تعريفها في المعجم ثم لدى الفلاسفة وعلماء اللغة عند الغرب، وعند العلماء العرب المحدثين وعند العلماء القدامى، نشأتها وعلاقتها مع العلوم الأخرى، وكذا المجالات التي تهتم بدراستها التداولية.

الفصل الثاني: بعنوان **التداولية عند علماء الأصول، الشوكاني - أنموذجاً -** وهو عبارة عن مزيج بين النظري و التطبيقي بحيث تناولنا فيه أو من خلاله إلى الخبر و الإنشاء، الحجاج، التخصيص، التقرير وغير ذلك في بعض نصوص الشوكاني.

الخاتمة: تتمثل في نتائج البحث التي توصلنا إليها من خلال دراستنا للفصلين معاً.

أما **الصعوبات** التي واجهناها في هذا البحث كونه تجربة جديدة، وذلك لقلّة المراجع و المصادر التي عالجت دراسات لها علاقة بمؤلفات **الشوكاني**.

وفي نهاية المطاف قد تجاوزنا كل الصعاب بفضل الله سبحانه وتعالى الذي سهل علينا كل الأمور، وكذلك في ضوء إرشادات و نصائح الأستاذ الفاضل **عطاء الله بو سالمى** الذي له الفضل والشرف في ميلاد هذه الدراسة المتواضعة فله كل الشكر والتقدير.

الفصل الأول:

ماهية التداولية وحدودها.

1 - تعريف التداولية لغة:

(أ) في المعاجم العربية:

ورد في لسان العرب لابن منظور في الجذر اللغوي (د، و، ل)، والدولة بالفتح في الحرب أن تدار احدي الفئتين علي الأخرى، يقال كانت لنا عليهم الدولة، والجمع الدول، والدولة بالضم في المال، يقال صار الفيء دولة بينهم تداولونه مرة لهذا، وقال أبو عبيد: الدولة بالضم اسم الشيء الذي يتداوله به بعينه.

والدولة: الفعل و الانتقال من حال إلي حال، وفي الحديث الدعاء، حدثني بحديث سمعته عن رسول الله - صلي الله عليه و سلم - لم يتداوله بينك و بينه الرجال، أي لم يتناقله الرجال، و ترويه عن واحد. إنما ترويه أنت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم¹.

و " هي انقلاب الزمان من حال إلى حال، الدولة : العقبة في المال وتداوله،

أخذه بالدول².

أي أن لفظة دول تدل على تحول الشيء من حالة إلى حالة بعد إن كان مستقرا ثابتا، ولا تخرج المعاجم الأخرى عن هذه الدلالات كما جاء في أساس البلاغة (دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا. وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة له عليه و على الحجاج: أن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها (...) والله يداول الأيام بين الناس مرة ومرة عليهم و الدهر دول و عقب و نوب ... وتداول الشيء بينهم³.

¹ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر لطباعة و النشر، بيروت، المجلد، 11 دول، ص 252.

² - ينظر قاموس المحيط، الفيروز أبادي: 377/3، مختار الصحاح، أبي بكر .

³ - أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري: 189.

وجاء في قوله تعالى: ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾¹. فسرها ابن كثير بأن الألم و الفرح تارة عليكم، فيكون الأعداء غالبين، وتارة تكون لكم الغلبة، ولكن النصر الأخير سيكون للمؤمنين حيث يقول " أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من حكمة"².

و قد اكتسب هذا المفهوم أيضا من الصيغة الصرفية تفاعل الدالة علي تعدد حال الشيء الذي يقضي وجود أكثر من حال ينتقل بينها الشيء، وبين المتكلم و السامع و ما يتداوله الناس بينهم.

ومن الشواهد استخدام هذا المصطلح في القرآن الكريم كذلك، قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿ وما أفاء الله على رسوله من أهل القربى و اليتامى و المساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم، وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾³. وبيان (كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي: " كي لا يكون ذلك الفيء (دولة) يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر و سبيل الخير"⁴.

إن فالتداول هو الانتقال من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان آخر في حالة الحرب، و الانتقال من يد إلى يد في أندال المال، كذلك انتقال و تداول اللغة من جيل إلى جيل ومن قوم إلى قوم آخر.

¹ - سورة آل عمران، 14.

² - تفسير القرآن الكريم، ج3، ص 542.

³ - سورة الحشر: الآية 7.

⁴ - القرآن الكريم وبها مشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيحني، مذيلاً بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان عطية، قدم له وراجعته مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995، ص546.

(ب) تعريف التداولية في المعاجم الغربية :

ورد في معجم اللسانيات و علوم اللغة: أن التداولية هي جانب من جوانب اللغة يهتم بملاح استعمالها (نفسية المتكلمين، رد فعل المستمعين، الطابع الاجتماعي للخطاب، موضوع الخطاب) بمقابل الجانب التركيبي (المميزات الشكلية للأبنية اللغوية) والدلالي (العلاقات بين الوحدات اللسانية والعالم)¹.

أما فلاسفة أكسفورد: فيعتبرون التداولية هي دراسة أفعال الكلام، وهو المفهوم الشائع والموجود (أو المعمول به) في معظم المراجع التي صدرت في الآونة الأخيرة².

1-1- التداولية اصطلاحا

(أ) عند علماء وفلاسفة الغرب:

يبدو مصطلح التداولية **pragmatique** على درجة من الغموض، إذ يقترن به، في اللغة الفرنسية، المعنيان الآتيان، محسوس و ملائم لحقيقة. أما في الانجليزية وهي التي كتبت بها اغلب النصوص للتداولية، فإن كلمة **pragmatique** تدل في الغالب على ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية. وهكذا يبدو لأول وهلة، أن الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية ضخم³. كما " يوصف انه كيان غامض أو وعاء جديد توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسية"⁴.

¹ :-1 Debois et AL 1994 Dictionnaire de linguistique et sciences du language, librairie la rousse , p 375 .

² - ومن بينهم: أوستين و سيرل وستراوسن وجرايس..

³ - التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشه، ترجمة صابر الحباشة، ط1، 2007، دار الحوار، ص 14 .

⁴ - التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، جويلية 2005، ص16-17.

ولقد اتخذ مصطلح التداولية **pragmatique** مدلولات عديدة في مجالات متنوعة، فأصبح مصطلح **pragmatique** يعود إلى الكلمة اليونانية، **pragma** التي تعني العمل **ACTION**، كما استعمل المصطلح كذلك في القرون الوسطى في فرنسا في مجال الدراسات القانونية، وفي القرن 17 انتقل استعمالها غالى الميدان العلمي ليبدل مصطلح **pragmatique** على كل بحث يفضي إلى تطبيقات ذات ثمار علمية، ثم انتقل مصطلح **pragmatique** إلى ميدان الدراسات اللسانية، وكان الاستعمال الأول له في هذا الميدان على يد الفيلسوف الأمريكي شارل موريس الذي قصد به كل ما يتعلق بمظاهر استعمال اللغة (الحوافز النفسية للمتكلمين، النماذج الاجتماعية، وموضوع الخطاب)¹.

فلا نعني بالتداولية النفعية **pragmatique**، أي المنفعة و المصالح الحيوية للإنسان و الارتباط بالحياة العملية التي تحقق له الرقي والازدهار والتطور بل تتمثل في دراسة الاستعمال الحقيقي للغة وذلك يتحقق من خلال الكلام.

إن " التداولية ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف و تفسير البنى اللغوية و يتوقف عند حدودها و أشكالها الظاهرة، لكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، و يدمج، من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي و تفسيره " وعليه، فإن الحديث عن التداولية و عن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينهما و بين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى الحقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، و الاستدلالات التداولية، و العمليات

¹ - التداولية واللسانية، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، العدد 17، طاهر لوصيف، جامعة الجزائر العاصمة، جانفي 2016، ص 6-

الذهنية المتحكمة في الإنتاج و الفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال¹.

تتمثل التداولية في استعمال اللغة من قبل المتكلم لغرض إيصال المعني للمستمع في سياق ما.

وعلي الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية و تشكيكهما في حدودها... فان معظمهم يقر بان قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعلام اللغوي والتعرف علي القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، و تصير التداولية، و من ثم جديرة بان تسمي: علم الاستعمال اللغوي².

فتعتبر "التداولية نفسها عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات و متساوية في النضر إلي اللغة بوصفها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد علي الرغم من عدم الوضوح الذي اكتنف التداولية " فان مجمل الأفكار والملاحظات و التساؤلات التي لم تتمكن المدارس اللسانية [ومنها البنيوية] من الإجابة عنها قد وجدة سبيلها في هذا الاتجاه³، اهتم سوسير باللسان الذي يمثل الجانب الاجتماعي للغة و اقتصر الدراسة علي البني اللغوية و نظامها. وأهمل الجانب الفردي المتمثل في الكلام و به يتحقق الانجاز الفعلي للغة بالاستعمال و من خلالها تتجلي التداولية.

و"كما يمكن القول بان التداولية جاءت ردا على نظرية عالم اللغة تشومسكي

shomsky، الذي ميز بين الكفاءة competence والأداء performance

¹ - التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، جويلية 2005، ص16.

² - المرجع نفسه، ص 16-17.

³ - الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد آل صونيت، ص 20 .

و ركز علي الكفاءة دون الأداء، وعد اللغة أداة مجردة عن السياق والعوامل التي تؤثر على المعنى¹.

يعتبر تشومسكي اللغة عبارة عن نتاج عقلي خاص بالإنسان دون سواه من المخلوقات الأخرى، فله القدرة علي الإبداع و إنتاج الجمل غير المحدودة باستعمال قواعد للغة معينة و التميز بين الصحيحة منها وغير الصحيحة نحويًا في اللغة ذاتها متجاهلا استعمالها و مستعملها.

إن أقدم التعريفات هو تعريف شارل موريس CH, MORRIS وهو أول من بادر بوضع تعريف مقصود أي الميلاد الأول لمصطلح التداولية **pragmatique**، بحيث عرفها كما يلي: "وبالإجمال النحوي الذي يقتصر علي دراسة العلاقات، وعلم الدلالة الذي يدور على الدلالة التي تحدد بعلاقة تعين المعنى الحقيقي القائمة بين الدلالات و ما تدل عليه"².

بحيث قسم علم العلامة إلي ثلاثة أقسام ألا وهي:

- العلاقة الدلالية: علاقة العلامات بالأشياء.

- العلاقة التداولية: علاقة العلامات بالمتخاطبين أو المؤولين.

- العلاقة النحوية: العلاقة القائمة بين العلامات نفسها.

فتدرس السيميائية العلامات غير اللغوية والعلامات اللغوية منها علم التراكيب و علم الدلالة والتداولية التي تتمثل في دراسة العلاقات القائمة بين البنى اللغوية و مستخدمها هذه البنى.

¹- نظرية الفعل الكلامي، هشام إ، عبد الله خليفة: ص 215-216.

²- التداولية اليوم، آن روبرول، جاك موشلار، ترجمة، د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية، بيروت، ص 29.

اما ليفينسون **LEVINSON.S** فيرى بأن التداولية وجوها متعدد نذكر منها:

" **التداولية** هي دراسة العلاقات والسياق، او هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة بسياقاتها.وعرفها أيضا بأنها دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات و اقتضاء أو ما يسمى بأفعال اللغة **speech Acts** ¹ .

وعرفها كذلك كل من آن ماري ديالر **ANNE-MARIE DILLER** و فرانسوا ريكاناتي **FRANÇOIS RECANATI** فيقولان: " أن التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية². يعني هذا ربط اللغة من خلال الكلام بالظروف المحيطة بها (السياق).

كما " يعد الفيلسوف الأمريكي شارل ساندر بيرس 1914/1803 الذي سمي العملية المتمثلة في وضع الكون في علامات (في الفكر) توليدا دلاليا فتولد الدلالة عنده ثلاثي دال، مدلول، مرجع فالعلامة عنده هي شيء ما يحتل موقع شيئا آخر، وهي ذات بعد تواصلية وهو ما يسميه المؤول"³ هو أول من أطلق كلمة البرغماتية **pragmatique** و ذلك في مقابلته الشهيرة " كيف نجعل أفكارنا واضحة " .

فالعلامة اللغوية حسبه تمر قبل استخدامها من قبل المتكلم بعملية تأويل ذهني تختص **التداولية** بدراسة المعني كما يوصله المتكلم (أو الكاتب)، ويفسره المستمع (والقارئ)، لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها، بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، التداولية هي دراسة المعني الذي يقصده المتكلم"⁴، إذا نظرنا إلى التعريفات السابقة فإن **التداولية** لا تكفي بالوصف و التفسير للبنى اللغوية (الشكل) بل تتعداها إلى أبعادها التواصلية.

¹ - الأسس الإستمولوجية، والتداولية للنظر النحوي عند سبويه، د. ادريس مقبول، ص264.

² - المقاربة التداولية، فرانسوا أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، ص8.

³ - التداولية من أوستين إلى غولدمان، فليب بلاتشيه، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار، دمشق، 2007م، ص41.

⁴ - التداولية اليوم، جورج بول، ترجمة، د، قصي العتاي، دار العربية للنشر، ط1، 2010، ص19.

ب) التداولية عند العلماء العرب المحدثين :

ولابد من ذكر أهم المؤلفات العربية الرائدة في اللسانيات و أهمها مؤلفات الدكتور تمام حسان، والدكتور عبد السلام المسدي، والدكتور عبد الرحمان الحاج صالح، والدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور رمضان عبد التواب، والدكتور عبد الصبور شاهين، والدكتور محمود فهمي الحجازي و محمد يونس و مشال زكريا و غيرهم¹.

يرجع الفضل في استعمال مصطلح التداولية إلي اللساني المغربي طه عبد الرحمان بحيث يقول: " وقع اختيارنا علي مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقيا لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته علي معنيين الاستعمال والتفاعل معا"².

فقد اهتم طه عبد الرحمان بالقضايا التداولية وجهة نظر منطقية و فلسفية، مستمدا وسائله النظرية والمنهجية من علمين حققا نتائج باهرة هما: اللسانيات و المنطق، وهذا ما اكسب هذه النظرية رؤية منهجية ناقدة تتم علي وعي كبير بأهمية المنهج العلمي³.

أما مسعود صحراوي فقد عرف التداولية بأنها إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف علي القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، و تصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم لاستعمال اللغوي⁴.

¹ - اللسانيات و المصطلح، ص6.

² - التفكير اللغوي التداولي عند العرب، ص8.

³ - قضايا إبستمولوجية، في اللسانيات، حافظ إسماعيل علوي، أ. محمد الملاح، ص 291-292.

⁴ - التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، د. مسعود صحراوي، ص 16-17.

كما عرفها د. سمير الخليل بأنها حقل لساني بالبعد الإستعمالي الإنجازي للكلام و يأخذ بعين الاعتبار المتكلم والسياق.

وعرفها أيضا صلاح الدين صالح حسنين بأنها " تحيد هذا يعني إن التداولية، تدرس اللغة بوصفها نضام اتصال، أي أنها تدرس اللغة دراسة لغوية، فتجمع إلي جانب النحو وهو الذي يمثل الدراسة الشكلية للغة التداولية و هي التي تمثل الجانب الوظيفي " ¹.

أما الباحث الجلاي دلاش يري بأن التداولية هي: تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثه وخطاباته كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويله لتلك الخطابات والأحاديث، الاهتمام بعناصر التخاطب من المتكلم ونواياه، وحال السامع وظروفه، والسياق.

ومن خلال كل هذه التعريفات سواء كان عند علماء الغرب أو عند المحدثين العرب لمصطلح التداولية، نجد إن مفهومها مبني على دراسة اللغة (الشكل) باعتبارها نسق و نظام وعلاقتها بظروف الاستعمال (السياق)، هذا يؤكد وجود المتكلم، ووجود المستمع كذلك، مما يحقق التفاهم والتفاعل الإنساني عبر عملية التواصل.

1- 2- إشكالية المصطلح عند العلماء العرب:

باعتبار أن التداولية فرع من علم اللغة فقد كان لتعدد تعريفاتها من الباحثين اثر في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية فقد ترجم إلى: الذراعية، المقصدية، المقامية، التداولية، التخاطبية، الوظائفية².

¹ - التداولية و النحو، صلاح الدين صالح حسنين، ص17.

² - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص 52.

يقول عبد المالك مرتاض: وقد اصطلح في العربية النقدية المعاصرة على أنه "تداولية" في حين أننا نشك في أنه كذلك بهذه الصفة التي ورد عليها، في أصل الاستعمال الغربي، لأن صيغة هذا الاستعمال (pragmatics, pragmatique) لا تدل على وجود ياء النزعة المعرفية (علمية أو فلسفية أو أدبية) والتي يطلق عليها النحاة العرب بغير إقناع "الياء الصناعية" فالأجانب يصغون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء أو اللاحقة الثنائية "يه" (pragmatisme, pragmatism) فكيف نترجم نحن العرب مفهومين اثنين في أصلهما بصيغة عربية واحدة، ولذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأول "التداولية" (أي تداول اللغة)، وعلى المفهوم الآخر المنصرف إلى النزعة المذهبية: "التداولية" وذلك حتى نطوع العربية¹.

ومصطلح التداولية أكثر شيوعا و أقربها إلي طبيعة البحث فيها لما يتضمن المصطلح تداول من دلالة علي التفاعل والواقعية و الممارسة والتع الق وكلها معاني يسعى هذا العلم (التداولية) لاستكشافها في نظام اللغة و استعمالها².

1-3- نشأة التداولية:

من المفيد أن نذكر بأن نشأة التداولية توافقت تقريبا مع نشأة العلوم المعرفية. ولقد جري التفكير في الذكاء الاصطناعي في سياق عقلية جديدة، هي العقلية التي مكنت من ظهور العلوم المعرفية، ففي أمريكا علي الخصوص اتخذ علم النفس السلوكي - الموجل في التجريبية - التسليم بوجود أشياء غير قابلة للملاحظة، كالحالات الذهنية، وهو يكتفي بملاحظة السلوك و أساسا سلوك الحيوان- للوصول إلي تعميم في شان المعطيات النفسية... من عبور متاهة (المهمة المفضلة لدي

¹ - تداولية اللغة بين الدلالة و السياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترفيه اللغة العربية، الجزائر، العدد 10،

2005، ص66،67.

² - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نطة، ص 52.

السلوكيين) إلى تعليم اللغة- اعتمادا علي منوال بسيط من فئة، "مثير/ استجابة"، ويمكن أن تكون الاستجابة مكافأة أو عقابا (أو بعارة السلوكيين: تعزيزا أو تكييفاً...)¹.

في سبعينيات القرن الماضي، كان هناك اتجاه لتعريف التداولية بأنها (قمامة اللسانيات) **La poubelle de linguistique**.²

أي لا يري الكثير من الباحثين أهمية، وهذه التصورات خاطئة عن التداولية إذ أنها ليست سلة لمهمات اللسانيات ولكنها عالجت المشكلات اللغوية الهامشية **Marginaux** التي لم تعالجها اللسانيات، أي أنها تقوم علي إزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي، وشرح طرق الاستدلال و معالجة "الملفوظات"³.

إذا حاولنا البحث عن الجذور الأولى للتداولية فيمكن لمسها في الاتجاه (الفلسفة التحليلية) وهو الاتجاه الرئيس في فلسفة اللغة أو التيار الغالب في الفلسفة المعاصرة الذي ركز على موضوع اللغة⁴، أي اتخذ اللغة موضوعا للدراسة والبحث فيها وقد وضع فلاسفة التحليل مناهج علمية جديدة في الفلسفة تقوم على التحليل المنطقي للغة، وهذه الطريقة المنهجية العلمية أثبتت جدارتها في القدرة على التمييز بين مفاهيم الميتافيزيقية وقضاياها من جهة و في إيجاد قواعد علمية تشمل الاستقراء و الاستدلال من جهة أخرى⁵.

ويعد الفيلسوف الألماني غ. فريجه (G- FREGE) (1848-1925) زعيما

لهذه المدرسة الفلسفية التي تطورت على يده النظرية الفلسفية التي تدعى

¹ - التداولية اليوم علم جديد في التواصل، أن روبول، جاك موشلار، ترجمة، د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، مراجعة، د. لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ص 27-28.

² - ينظر التداولية عند العلماء العرب 26-27. التداولية، تأليف جورج يول، ترجمة د.قصي العنابي، ص 19-20.

³ - ينظر التداولية عند علماء العرب ص 27-28، الأسس الإستمولوجية و التداولية، 265-266، شطايا لسانية 63، علاقات الحضور و الغياب ص 21، و التداولية جورج يول، ص 23.

⁴ - الخطاب القرآني، ص 23.

⁵ - محاضرات في اللسانيات التداولية، د. خديجة بوخشة ص 5.

(منطوقية) (LOGICIME) ومن أهم نتائج المنطوقية ،أنها فصلت الفلسفة التحليلية عن النظريات التي يمكن تسميتها ب(التأليفية) فقد وضع (فريجة) الحجر الأساس لعلم الدلالة، ومن ورائه التداولية، وذلك بوضع مفاهيم الروابط الدلالية الوضعية والتواصلية¹.

وتعد "الفلسفة التحليلية " ابرز اتجاه فلسفي معاصر يعبر عن الروح العلمية التي تجلت في العلوم الرياضية والعامه ككل، وهي تضم عددا من المذاهب المتجانسة مثل الواقعية الجديدة ومؤسسها الفيلسوف الإنجليزي (جورج مور) والذي سار في طريقها بعد ذلك (برتراند راسل)، وكذلك الوضعية المنطقية التي ظهرت أولا على يد (موريس)، ثم حمل لوائها بعد ذلك (آير و كارناب). إلا أن أشهر من عبر عن هذا الاتجاه العام للفلسفة التحليلية هو (برتراند راسل) اذ جمع في فلسفته أحدث التطورات الرياضية ، وآخر الكشوف العلمية الذرية ، مما جعل الباحثين يطلقون على فلسفته اسم " الفلسفة التحليلية أو الرياضية "2. وبرز من تأثر بهذه الفلسفة كذلك نجد الفيلسوف الإنجليزي فنغشتاين (L- WITTGENSTEIN) 1889-1951 فتوسطت أعماله أعمال فريجة و أوستين التي قامت على أثرها نشأة التداولية.

ويعود الفضل في تطور التداولية وظهورها كنظرية إلى جهود وأعمال فلاسفة مدرسة اوكسفورد و خاصة كل من جون اوستين (AUSTIN) وتلميذه سيرل (SEARL) إضافة إلى إسهامات غرايس (GRICE) وجهوده الكبيرة التي طور من خلالها الدرس التداولي و بالخصوص عند تطرقه إلى مبادئ المحادثة.

¹ - المرجع نفسه، ص 5.

² - التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، د. مسعود صحراوي، ص 38.

وهذا عندما القي الفيلسوف جون أوستين ومحاضرات وليام جايمس 1955، لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة، ونجح في ذلك بيد أن (محاضرات وليام جايمس) ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية فيها قطب الرحي طوال ثلاثين سنة¹. كما كان لكتابه المعنون " كيف تفعل الأشياء بالكلمات "1962م شأن في تطور التداولية وظهورها كنظرية قائمة بذاتها.

كانت غاية بقية المحاضرات التي ألقاها أوستين سنة 1955 وضع حد أسس الفلسفة التحليلية الانجلوسكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو مفاده أن اللغة تهدف خاصة إلي وصف الواقع: فكل الجمل (عدا الاستفهامية، والأمرية و التعجبية) يكمن الحكم بأنها صادقة أو كاذبة. فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقق فعلا في الكون².

انطلاقا من هذا استفاد الفيلسوف الأمريكي، جون سيرل، من دروس أستاذه أوستين، حيث قام سيرل، بتطوير نظرية أوستين في بعدين رئيسيين هما: المقاصد، والموضوعات، باعتبار اللغة انجاز من خلال نظرية الأعمال اللغوية لدى أوستين، تكون بذلك وسيلة تواضعية للتعبير عنها وانطلاقا من هذه المفاهيم توسعت الدراسات التداولية.

1-4- ابرز مفاهيم التداولية:

2- نظرية التلفظ: التلفظ هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (ENONCIATION)

الذي أشار إليه الألسني السويسري شارل بالي 1865 1947 في كتابه (اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية).

¹ - التداولية اليوم علم جديد في التواصل، أن رويول، جاك موشلار، ص 29.
² - المرجع نفسه، ص 29.

وقد بلور هذه النظرية اللساني الفرنسي اللغة. وتطورت أبحاثها في عدة مسارات، لتتطوي تحتها نظريات متعددة منها، نظرية التلفظ، نظرية أفعال الكلام، نظرية الخطاب و قوانينه، وكيفية تنظيمه¹.

اميل بنفنيست (1902-1976) الذي استطاع إن يجمع بين معطيات لسانية و مفاهيم لغوية متفرقة .

بحيث تأسس منظور بنفنيست من خلال رؤيته للسان بوصفه تجريدا أو طاقة مخزونة في ذهن المتخاطبين (INTERLOCUTEURS) سرعان ما يؤول إلى موجود بالفعل في رحاب الممارسة التلفظية، على مبدأ تجاوز حدود لسانيات الملفوظ التي تمتد على مساحة الوقائع اللغوية التي يقوم بها المتكلم في مواقف خطابية محددة، وفق تشكيلة من جمل المحققة، إلى إمكانية توسيع نطاق موضوع البحث اللساني ليشمل كل الظواهر المتعلقة بشروط الإنتاج الخطاب، بوصفها إستراتيجية مناسبة لوصف لتوظيف اللغة عن طريق فعل استعمال فردي في إنتاج الملفوظات، ضمن الشروط المقامية الخاصة بعملية التلفظ ذاتها.²

عرف بنفنيست التلفظ على أنه: إجراء توظيف اللسان بمقتضى فعل فردي في الاستعمال كل تلفظ يفترض متكلما و مستمعا، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما³.

للمتكلم دورا هاما في نظرية التلفظ فالتلفظ كونه مرجعية لك ل ملفوظ و فاعلا في الخطاب، هذه المرجعية أي يتحول المتكلم إلى مستمع والمستمع إلى متكلم بوصفهما جزأين من الحالة التلفظية.

¹- الأسس الاستيمولوجية و التداولية ، ص224.

²- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، ص 251.

1-extention toute enonciation supposant un locuteur et un auditeur , et chez Emille benveniste-1
problemes de le premier l intention d influence d autre en quelque manier linguistique général op cit
p 242.-2

2-1- مرجعيات (DEIXIS) الملفوظية:

إن مرجعيات الملفوظية ومجموعتها الأكثر تمثيلية: أنا، أنت، هنا، الآن، عبارة عن كلمات تشير، من داخل الملفوظ، إلى تلك العناصر الأساسية المكونة للملفوظية... وهذا يعني أنه في كل مرة يتحدث فيها أنا بهدف الحديث عن نفسه. أنت، لا يمكنه الإشارة إلا الفرد الذي خاطبه المتحدث بهدف الحديث عنه باعتباره مخاطبا هنا، الآن، لا يمكنها الإشارة إلا مكان وزمان وقوع حدوث الملفوظ الذي يشكلان جزءا منه¹.

2-2- الإشارات (DEICTIQUES):

تشكل جزءا من المرجعيات (DEIYIS) لأنها لا تشير إلا بوجود مرجع ما، فبين (أنا) وبين فرد ما يتحدث عن نفسه في لحظة معينة، تكون العلاقة علاقة حقيقية (RELATION DE LA FAIT) : هي العلاقة الناتجة عن لفظ هذا الفرد لكلمة: أنا.²

يعتقد اميل بنفينيست أن ضمير الغائب عبارة عن (لا شخص): وأن (هو) يقع تحت كل من (أنا) و(أنت)، كما يقع تحت كل ما من شأنه أن يصبح موضوعا للكلام.³

مع الاكتشاف الجديد... تم توسيع نطاق البحث في اللسانيات، أو بالأحرى فك عزلتها من مضايقات النزعة المعيارية المجردة إلى ديناميت الاستعمال الخلاق للغة.⁴

¹ - الملفوظية - دراسة - ترجمة الدكتور قاسم المقداد، من منشورات اتحاد كتاب العرب، جان سيرفون، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص 28.

³ - المرجع نفسه، ص 29.

⁴ - التحليل عبر اللساني بين الجملة و النص، توصيف و مناقشة، جامعة سعيدة، الجزائر، د. هواري بلقدوس، ص ي، 1998 252.

3- الخطاب:

إن تحديد مفهوم الخطاب، و تحديد موضوعه، مازال غامضا منذ بدايته إلى يومنا هذا لاختلاف آراء الفلاسفة واللسانيين نتيجة تعدد اتجاهاتهم الفكرية ونظرياتهم بدءا من أعمال هاريس (z -S HARIS) الذي عرف الخطاب كالاتي: " يعطي تحليل الخطاب مجموعة من المعلومات عن بنية نص او نمط من النصوص وعن دور كل عنصر في هذه البنية. فاللسانيات الوصفية لا تصف في الحقيقة إلا دور كل عنصر داخل الجملة التي تحتوي عليه، إما تحليل الخطاب - إضافة إلى هذا - فهو يعلمنا عن طريقة بناء الخطاب لإرضاء كل التخصصات تماما مثلما تؤسس اللسانيات الاستدلالات الدقيقة الخاصة بالطرق التي تبنى بها الأنظمة ذات التخصصات المختلفة¹. أهتم هاريس بأصغر وحدة ألا وهي الجملة في تحليله للخطاب المتكون هو أيضا من مجموعة من الجمل المتعاقبة.

أما بنفيسيت الخطاب على أنه كل تلفظ يفترض متكلما و مستمعا وهدف الأول التأثير في الثاني بطريقة ما أي ربط الخطاب بالجانب الشفوي .

3-1- قوانين الخطاب:

قانون الإخبارية وقانون الإفادة: كما هو معلوم، فإن أول وظيفة يمكن أن تؤديها البنية اللغوية هي الوظيفة التواصلية أو الإخبارية، فالملفوظ مهما كان صنفه يؤدي صيرورة إبلاغية ضمن الدورة الخطابية محدثا في ذهن السامع حدثا إخباريا جديدا يختلف نوعيا وكميا عما لديه من معلومات سابقة، وعليه " يجب أن يكون المتكلم يبتغي إما إفادة المخاطب أو الاستفادة منه، إما بأن يلقي إليه لفظا يدل المخاطب إما على تأدية شيء... وإما بأن يلقي إليه لفظا يدل على اقتضاء

¹ - 3 . L' ANALYSE DE DISCOURS : FRANZIN MAZIERE

شيء منه "فنجذ في هذا السياق بأن الإفادة التي تتوخى الإخبار فعلا أساسيا لا استغناء عنه في التفاعل الحاصل بين متخاطبين أو مجموعة متخاطبين، وهذا الإخبار يستلزم بنية جملة ما، وقد تتجسد عن طريق المشافهة أو المكاتبة وهذا لا يخرج عن الاعتبار اللساني...¹.

3-2- قانون الشمولية:

يركز قانون الشمولية على المقدار الكمي للمعلومات ومدى تمامها عند وصولها لذهن المتلقي، فإذا خرق هذا التمام بالصمت أو بإخفاء جانب من الحقيقة الإخبارية صار من غير الممكن اعتبار التواصل الخطابي شاملا، وعلى هذا الأساس يمكن حصر الشمولية لدى المخاطب الذي يستقبل المعلومات التي قد تكون ناقصة، ولا ينبغي كذلك أن ننسى دور السياق في هذا الحال إذ أنه محدد كبير جدا بتحكمه إما تقليلا أو مطابقة أو إطنابا في سرد المعلومات و الإخبار بها ويعتبر (مانغينو) أن " قانون الشمولية يتبع لمبدأ الملائمة مما يعني أن المتكلم مفترض فيه إعطاء حدا كافيا من المعلومات، لكن ما يقبل الموافقة لدى المستمع فقط"².

3-3- قانون الصياغة:

ويمكن أن نجمل الحديث حول مفهوم الصيغة فيما توحى به صيغ الخطاب الذي يتفرع إلى طريقتين في الظهور إلى المستقبلين، و تتمثل الطريقة الأولى في صيغة العرض، والطريقة الثانية تتمثل في صيغة السرد، وقد تحمل الصيغة مفهوميين آخرين هما: الموضوعية والذاتية إذا ارتبط ذلك بالملفوظ و التلفظ ذلك أن "الملفوظ بذات الملفوظ ويبقى موضوعيا، بينما يرتبط التلفظ بذات التلفظ ويحتفظ بالمظر الذاتي" وقد يقترن هذا القانون بمفهوم الرؤية أو المنظور، إذ تتعدد الصيغ حينئذ

¹ - الأنترننت BRAHIMBLOGSOT.COM
² - المرجع نفسه.

فنقول صيغة الرؤية من الخلف وصيغة الرؤية من الأمام وهكذا... الخ¹.
3-4- مبدأ التأدب:

صاغت الباحثة روبين لايكوف هذا المبدأ في مقاله الشهير "منطق التأدب" بعبارة "كن متأدبا" وصرحت بأن هذا المبدأ يقتضي أن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام من ظوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ " وهذا ما يسهم في تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية.

اقترح جوردن ولايكوف "قواعد مصورنة أسميها مسلمات الحوار لضبط استلزام قضية ما قضية أخرى في طبقة من المقامات معينة، تتركز مسلمات الحوار على شروط صدق المتكلم أو المخاطب، كما يحددها سورل في تصوره لنظرية الأفعال اللغوية " فالقواعد الضابطة لا تستلزم "الالتماس" حواريا مثلا " هل يمكنك مناولتي القلم ؟ وهو استفهام حول شروط صدق المتلقي أي قدرته على تلبية رغبة المتكلم².
3-5- مبدأ التوجه:

وهناك مبدأ تداولي...يرتبط بمبدأ التأدب وهو " مبدأ التوجه " أي مقابلة الوجه للوجه وورد مضمونه عند "براون" و "ليفينسون" ويقوم هذا المبدأ على "اعتبار الوجه صورة رمزية تمثل القيمة الاجتماعية للفرد المتكلم، لذلك صاغا مبدأهما كالتالي: "لتضمن وجه غيرك" الوجه عبارة عن الذات التي يدعيها الفرد لنفسه والتي يريد بها أن تتحدد قيمته الاجتماعية.

ومن الأفعال التي تهدد وجه المتكلم الإيجابي: الاعتذار أو الاعتراف بالخطأ، وأما تلك التي تهدد وجهه السلبي فهي الشكر وقبول الشكر أو الوعد، أما المتلقي

¹ - المرجع نفسه.

² - محاضرات في اللسانيات التداولية، أ. خديجة بوخشة، ص47.

فمن الأفعال التي تهدد وجهه الإيجابي: الذم والسخرية والنقد، أما التي تهدد وجهه السلبي الأفعال الطلبية الأمر والنصح والتذكير والإنذار والتحذير...¹

4- الحجج ARGUMENTATION:

نجد في قاموس: LE GRAND ROBER مصطلح ARGUMENTION يتمثل

في "فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة والفعل حاجج (ARGUMENTER) هو الدفاع عن اعتراض أو أطروحة بواسطة حجج². استعمال وسائل حجاجية بغرض حسب فيليب بروتون (PHILIPPE BERTON) هو أحد الحالات الأساسية للتواصل، وذلك تبعا لكون القصد هو التعبير عن إحساس أو حالة أو نظرة خاصة إلى العالم أو إلى الذات، أو الإخبار، أي الوصف الموضوعي إلى أقصى درجة لمقام ما"³.

يقول ديكرود (DUCROT): "إننا حين نتكلم إنما نهدف إلى التأثير في هذا السامع أو مواساته أو إقناعه أو جعله يأتي عملا ما، أو إزعاجه أو إخراج غير ذلك"⁴.

وعرفه طه عبد الرحمن كما يلي: "الاستدلال هو المجاز، أما الاستدلال فيتجلى من خلال آليات الإدعاء والاعتراض، إذ يتصور طه عبد الرحمن أن كل خطاب يضام قصودا أربعة، قصد التوجه إلى الغير و قصد إفهامه تم قصد الإدعاء وقصد الاعتراض."⁵

¹ - محاضرات في اللسانيات التداولية، ص48.

² - LE GRAND ROBERT : DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE ,T 1, PARIS ,1989,P.5 35.

³ - PHILIP BRETON, L' ARGUMENTION DANS LA COMMUNICATION, ALGER. CASBAH, 1998, p. 4.

⁴ - ANSCOMBERE ET DUCROT : L' ARGUMENTION DANS LA LANGUE, PHILOSOPHIE ET LANGAGE -

TROISIEME ÉDITION MARDAG, P.05.

⁵ - اللسان و الميزان، أو التكوثر العقلي، المراز الثقافي العربي، طه عبد الرحمان، ط1، 1998، ص 225.

أما قصد الإدعاء، فيقتضي ادعاء الناطق الصريح لما يقول من نفسه، والاستعداد التام لإقامة الدليل عليه عند الضرورة. أما قصد الاعتراض فيقتضي أن يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه¹.

ومن هنا فالحجاج ليس خارجا عن اللغة أو يضاف إليها، بل هو موجود داخل اللغة وعبرها وفي بنيتها الضمنية. كما أن الجملة باعتبارها مرفيمات ومнимات وتعايير وصيغ، يمكن أن توجه المتلقي تأثيرات إقناعية حجاجية سلبية أو إيجابية².

4-1- أفعال الكلام:

ركز الفلاسفة في دراستهم للغة على عمل الذهن في تصوره للغة، أي أنهم اعتبروا اللغة وسيلة للتعبير عن تصور الإنسان للعالم، لذلك اقتصر بحثهم على المركبات الخبرية بوصفها المركبات الوحيدة المعبرة عن تصور الذهن للعالم، هذا التيار الذي تمثله مجموعة من الفلاسفة مثل "فريجه" و "رسل" و "فنجشتين" في مرحلته الأولى ناهضة تيار آخر كان على رأسه "أوستين" و "سيرل" اللذان لم يكتفيا بدراسة الجمل الخبرية بل توسعا لدراسة كل أنواع الجمل و أساسا ما يطلق عليه نظرية أفعال الكلام³.

أصبح مفهوم **الفعل الكلامي** هو نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية، (**ACTE DE PAROLE**) والمؤسس الأول لهذه النظرية الفيلسوف الانجليزي أوستين فهو يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات و التعبير عن الأفكار فحسب، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحول الأقوال إلى أفعال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية.

¹ - المرجع نفسه، ص 225.

² - التداوليات والتحليل الخطاب، د. جميل حمدوي، ط1، 2015م، مكتبة الموثق، ص 39.

³ - نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعة جامعة الكويت 1994، ص ص أ، ص المقدمة.

حينما يقول القاضي (فتحت الجلسة)¹ يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا هو فتح الجلسة 4 يقول أوستين، من ضمن الجمل غير الاستفهامية أو الأمرية أو التعجبية، أي ضمن الجمل الخبرية، توجد جمل من قبيل " القط فوق الحصير" أو " ينزل المطر" التي تصف الكون و يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وتوجد جمل أخرى... لا تصف الكون و لا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو قسم أوستين الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاثة أفعال كلامية متفرعة منه وهي:

4-2- فعل القول (ACTE LOCUTOIRE):

يتمثل في " إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة. فعل القول يشمل على أفعال لغوية فرعية وهي المستويات اللسانية المعهودة المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي².

4-3- المستوى الصوتي (ACTE PHONETIQUE):

وتتمثل في إصدار أصوات معينة من مخارج صوتية معينة بغض النظر شكل هذه الأصوات أو ماهيتها أو معناها. أي هو عملية فيزيائية لتوليد أصوات بغض النظر عن كونها كلمات، أي النطق بأصوات ليس لها معنى محدد³.

4-4- الفعل التعبيري (ACTE PHATIQUE):

ويراد به تلفظ كلمات أو مفردات معينة أي أصوات من نوع محدد تشكل كلمات معينة في نظام نحوي معين وبتنظيم معين⁴.

4-5- الفعل البلاغي (ACTE RHETORIQUE):

¹ - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003، ص

155.

² - التداولية عند علماء العرب، ص 41.

³ - نظرية أفعال الكلام، ص 124.

⁴ - نظرية الفعل الكلامي، ص 81.

وهو رفع الغموض واللبس عن الجملة، وذلك بتدقيق الأفكار و تحديدها، باعتبار الفعل البلاغي يتكون من معنى ومرجع، هذان العنصران اللذان يشكلان الدلالة **MEANING** من أجل المعنى المقصود¹.

أو يتمثل في مراعاة ارتباط الوحدات التأليفية بالمراجع الخارجية للدلالة، على معان مخصوصة.

4-6- الفعل المتضمن في القول أو الفعل الإنجازي (ACTE

: (ILLOCTOIRE

وهو الفعل الأساسي الذي يأتي من خلاله معنى الإنجاز، وهو المقصود من النظرية برمتها، ويقصد به أن المتكلم حين ينطق بقول ما، فهو ينجز معنى قصديا، وهو ما سماه أوستن (بقوة الفعل)². وحسب مثال أوستن (إعلان فتح الجلسة) من الأفضل أن يكون المتكلم رئيسا للجلسة .

وتتميز الأفعال الإنجازية، عن الأفعال الأخرى (الإخبارية) حسب أوستن " الأفعال الإخبارية وتطبع خاصة بحدود الآثار الإخبارية. إنها الآثار التي ينجزها كلامنا و نعني بها الآثار التي تخالف المجرّد لهذا الكلام ومن أمثلة الآثار الإخبارية : أن تكون مقتنعا، ومنفعلا، وقلقا، خجلا، وتقابل الأفعال الإخبارية: الإقناع والإخجال، وتبدأ الأفعال الإنجازية بمجرد التأكيد وتنجز بغاية إنتاج آثار إخبارية³.

4-7- الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول (ACTE

: (PERLOCUTOIRE

¹ - نظرية أفعال الكلام عند أوستن، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، نصيرة غماري، العدد 17، ص 82-83.

² - الأفعال الإنجازية، ص 41.

³ - المقاربة التداولية، ص 61.

" يقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي ويعني ذلك أن الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منتظمة محملة بمقاصدة معينة في سياق محدد تعمل على تبليغ رسالة و تحدث أثر عند المتلقي، فلو كان عندنا منطوق إنجازي أفاد معنى (الوعد) مثلا فإننا لسنا بإزاء فهم الرسالة المنجزة فحسب، بل نحن هما في حالة من التهيؤ والانتظار اقتضتها قوة الفعل من خلال المعنى الإنجازي (الوعد)."¹

وهو الفعل التأثيري الناتج عن ما يحدثه المتكلم من تأثيرات معينة على مشاعر و أفكار وسلوك المستمع كنتيجة لما يقول، وكمثال على ذلك، ربما يقنع شخصا معيناً أن شيئاً ما حقيقة واقعة، أو يحدث شخصا معيناً لأداء شيء ما عن طريق القول². وللتمييز بين هذه الأفعال الكلامية الثلاثة توجد ملاحظتين حرص أوستين على تأكيدها :

يتم تحديد الفعل التلفظي بعرضه على صيغة (قال بأن)...، وفعل الكلام الغرضي بعرضه على صيغة (أكد أن) ...، وفعل الكلام التأثيري بعرضه على صيغة (أقنعني).

إن ما يميز فعل الكلام الغرضي عن فعل الكلام التأثيري هو الاستعمال الوضعي، إذ أن الأمر في فعل الكلام الغرضي يتعلق بالاستعمال الوضعي، أي يمكن توضيحه بالصيغة الإنجازية، في حين لا يمكن ذلك في فعل الكلام التأثيري، إذ لا يمكن أن نقول (أنا أؤكد)، (أدعم)...أو (أنا أحذرك من) ...، غير أننا لا يمكن أن نقول (أنا أقنعك ...) أو (أنا أخوفك) ...، وبذلك تكون الآثار الناجمة

¹ - الأفعال الإنجازية، ص 43.

² - التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل، دار التنوير، بيروت، 1993، ص 203.

عن فعل الكلام التأثيري قصدية أو غير قصدية، بينما هي دائما متواضع على قصديتها في فعل الكلام الغرضي¹.

هي تختلف بحسب الوضع النفسي الذي نعبر عنه - وهنا- يستعمل التداوليين ثلاثة أفعال أساسية تبني عليها الأفعال الأخرى.

و الأفعال الأساسية هي (يعتقد) و (يريد) و (ينوي) على اعتبار أن الإخبار أو التفسير يتضمن الاعتقاد بالقضية في حين يتضمن فعل الأمر الرغبة في القضية.

وهي تختلف بحسب الغرض أو القصد من الفعل الكلامي، وهذا أهم المعايير الثلاثة².

كما وضع أوستين تصنيفا آخر للأفعال الكلامية يعتمد على الاختلافات المقترنة بها، بحيث صنفها إلى خمسة فئات كبرى وهي:

أ) الأفعال الحكمية : هي أفعال تمثل الواقع تمثيلا يكون صادقا أو كاذبا³.

ب) الأفعال التوجيهية: هي أفعال يقصد بها المتكلم حمل المخاطب على فعل شيء ما⁴.

ج) الأفعال الإلزامية: هي أفعال يلزم المتكلم نفسه بعمل ما، مثل: (أضمن، أتعهد، أعد، أقسم)⁵.

د) الأفعال التعبيرية: هي أقل وضوحا من الأصناف الأخرى إذ لا توجد هناك علاقة متحركة بين الكلمات والعالم الخارجي ولا توجد أفعال نفسية أساسية - و بدلا من

¹ - نظرية أفعال الكلام عند أوستين، ص 87.

² - نظرية الفعل الكلامي، ص 124 - 125.

³ - اللسانيات الوظيفية، ص 25.

⁴ - المرجع نفسه، ص 25.

⁵ - الخطاب القرآني، ص 37.

ذلك نلاحظ أن مغزى هذا النوع من المقولات هو التعبير عن حالة نفسية يحددها شرط الصدق النية المتعلق بموقف يحدده المحتوى الخبري - مثال ذلك الأفعال (يشكر) و (يعتذر) و(يرثى)¹.

هـ) **الحكميات (الإعلانيات):** هي أفعال يتغير العالم بها، وتتضمن أغلب الأفعال الشعائرية ومن أمثلتها: أستقبل، أنت مفصول، وهي تتطلب مؤسسات غير لغوية تحدد قواعد استعمالها، مثل المحكمة أو لجنة يحدد الصنف الأخير مفتاح التداوليين أو مدخلهم لاكتشاف أفعال الكلام.

الأفعال الكلامية عند سيرل: لقد استفاد سيرل من أفكار أستاذه أوستين فيما يخص نظرية أفعال الكلام، إلا أنه أضفى نوعاً من الانتظام على الأفكار التي أخذها منه حيث وصلت إلى الكمال والنضج، فقدم تعاريف الأفعال الإنجازية المتنوعة ضمن شروط الواجب توفرها عند أدائها بشكل مؤثر.

ويعرض جون سيرل تصنيفاً جديداً، على خلاف أستاذه أوستين وهو الفعل الإنجازي المباشر والفعل الإنجازي غير المباشر.

5- الفعل المباشر: " الفعل الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم أي أن يكون الفعل مطابقاً للقصد بصورة حرفية تامة، و يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه هذين العنصرين². في هذه الأفعال الكلام فالفعل يطابق المعنى بشكل تام لا يحتاج إلى تأويل.

مثال على ذلك :

¹ - نظرية الفعل الكلامي، ص126.
² - الأفعال الإنجازية، ص98.

حضر الأستاذ إلى الجامعة.

6- الأفعال غير المباشرة :

" فهو أن يقول المتكلم شيئاً لكنه يعني شيئاً آخر، ويتعلق الأمر بأقوال يرمي من خلالها المتكلم التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في الاستعارة وحالات تعدد المعنى"¹.

والمثال الشهير الذي يتناوله سيرل هو (هل تتاولني الملح) وهو ملفوظ لا يطرح به المتكلم استفهاماً حول مقدرة المخاطب تقديم الملح، ولكن يدعو إلى تمكينه منه. وهو عمل منجز بطريقة مباشرة، وذلك من خلال انجاز عمل آخر². في هذه الأفعال القول لا يطابق المعنى الحرفي بل يتعداه إلى فعل آخر مجازي.

كما قسم سيرل الأفعال الكلامية إلى خمسة أنواع أساسية وهي³ :

(أ) الإخباريات: يكون الهدف منها تطويع المتكلم، حيث الكلمات تتطابق مع العالم و الحالة النفسية هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوة، ومثال ذلك "سيأتي غدا".

(ب) الطلبيات (الأمريات): الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمرها، حيث يخاطب العالم بالكلمات، وحيث تكون الحالة النفسية رغبة أو إرادة مثل "أخرج".

(ج) الوعديات: الهدف منها جعل المتكلم ملتزماً بإنجاز عمل، حيث يطابق العالم الكلمات، والحالة النفسية الواجبة هي صدق النية، مثل قولك (سوف آتي).

¹ - التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص68.

² - التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ص68.

³ - المرجع نفسه، ص66.

د) الإفصاحات (التعبيرات): يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النفسية مع ضرورة حضور النية الصادقة حيث لا توجد مطابقة الكون للكلمات، وحيث يسند المحتوى خاصة إما المتكلم أو إلى المخاطب، وهذا ما يوافق إجمالاً "السلوكيات" في تصنيفية أوستين، ومثال ذلك قولك (أعذرنى).

هـ) التصريحات: حيث يكون الهدف أحداث واقعة، حيث التوافق بين الكلمات والعالم مباشرة دون تطابق، مع تحفظ المشروعية المؤسسية أو الاجتماعية ومثال ذلك (أعلن الحرب عليكم).

7- متضمنات القول:

تتمثل متضمنات القول في "رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال و غيره"¹. فهو "الخفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات و البنى التركيبية العامة"² وهي الأمور المتضمنة في القول بصريح العبارة وتفسر ضمن سياقها.

"عندما يقول لك صديقك اشعر بخير اليوم أو أني في أفضل حال اليوم فأنت تلقائياً تفهم انه لم يكن كذلك بالأمس " و لهذا المعنى الذي استنتجه جاء معنا ضمناً من خلاله قوله و يمكننا إن نستخرج عدة معاني ضمنية أخرى من هذا المثال.

أن هذا الصديق يشكو من مرض الأمس

¹ - التداولية عند العلماء العرب، ص30.

² - المرجع نفسه، ص32.

انه بإمكانه انجاز أي عمل اليوم .

"التداوليون على اختلافهم يجمعون على أن الإخبار لا يتم بالتصريح فقط ويعود ذلك إلي وجود العديد من المحظورات التي تمنع المتكلم من التصريح، و هذه المحظورات قد يكون مصدرها المجتمع، مما يحتويه من أخلاق و عادات ودين وسياسة ... وينعكس ذلك على اللغة باعتبارها وليدة المجتمع¹، و من هنا تتجلى أهمية و دور المجتمع في التأثير على عملية التواصل.

8- الافتراض المسبق:

" في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء من معطيات وافتراضات معترف بها و متفق عليها بينهم. تتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات و البني التركيبية العامة"².

ففي الملفوظ (1)، مثلا :

أغلق النافذة

و في الملفوظ (2)

لا تغلق النافذة

ففي الملفوظين كليهما " افتراض مسبق " مضمونها أن النافذة مفتوحة.

ويرى التداوليون أن " الافتراضات المسبقة " ذات أهمية قصوى في عملية التواصل و الإبلاغ ففي " التعليمات "، تم الاعتراف بدور " الافتراضات المسبقة "

¹ - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 111.

² - التداولية عند العلماء العرب، ص 30-31.

منذ زمن طويل، يمكن تعليم الطفل معلومة جديدة إلا بافتراض وجود أساس سابق يتم الانطلاق منه و البناء عليه¹.

9- الأقوال المضمرة:

هي النمط الثاني من متضمنات القول، و ترتبط بوضعيات الخطاب و مقامه على عكس الافتراض المسبق يحدد على أساس معطيات لغوية². يتحقق في الواقع من خلال خصوصيات السياق.

و مثال ذلك قول القائل: إن السماء ممطرة.

إن السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن القائل أراد أن يدعو إلى:
المكوث في البيت.

أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد .

أو الانتظار والتريث حتى يتوقف المطر.

أو عدم نسيان مضلته عند الخروج ...

تقول " أوركيوني " : هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن السياق³.

10- الاستلزام الحواري:

يدور أشهر مقالات " غرايس (GRICE) وهو المقال المنشور سنة 1975م، على مايسمى صاحبه (منطق المحادثة). ويسجل هذا المقال تطورا في

¹- المرجع نفسه، ص31.

²- التداولية عند العلماء العرب، ص 32.

³- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 115.

مفهوم الدلالة غير الطبيعية و يصوغ مقارنة لإنتاج الجمل وتأويلها غير تواضعية حصرا.

وقد أدخل فيه " غرايس " مفهومين مهمين: الاستلزام الخطابي و مبدأ التعاون. وكان غرايس قد فهم - كما سبق بينته بصفة ضمنية أمثلة الدلالة غير الطبيعية التي عرضها في مقاله سنة 1975 - أن تأويل جملة ما غالبا ما يتجاوز كثيرا الدلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة¹.

كان غرايس (GRICE) يفكر و يبحث للإجابة عن سؤاله: " كيف أن يقول المتكلم شيئا ويعني شيئا آخر؟ وكيف للمخاطب أن يسمع ويفهم شيئا آخر؟ " والاستلزام هو الذي ينتج خرق القواعد إذ يكون ذلك في سياق خاص يحتاج فيه كل طرفي الخطاب إلى معلومات إضافية، وبهذا فإنه يكون أكثر تعقيدا في الاستدلال لمعرفة قصد المرسل، فمعظم التلغظات التي تستغل الحكم تتدرج تحت الاقتضاء الخاص فهو تلفظت الأم مع ولدها الذي أرسلته إلى السوق بالخطاب التالي: لماذا عدت؟ باعتبار أن الأم تستتكر على ابنها العودة لتتحول دلالة خطابها إلى معرفة السياق².

11- قواعد المحادثة عند " بول غرايس " :

يشكل مبدأ التعاون عند " غرايس (GRICE) " العمود الفقري للنشاط الكلامي، إذ أنه يمكن المتخاطبين من ضمان عدم انقطاع التواصل، لذلك فإن كل طرف من الخطاب يعترف لنفسه وللآخر بالحق في التناوب عن الكلام. ومفاده على أن أطراف الحوار أن تتعاون فيما بينها ليحصل المطلوب بمعنى أنه يتوجب أن يتعاون المتكلم والمخاطب على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخل فيه³.

¹ - التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 54-55.

² - محاضرات في اللسانيات التداولية، ص 37.

³ - المرجع نفسه، ص 39.

12- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

أ) علاقة التداولية باللسانيات البنيوية :

بعد التقسيم الثلاثي للظاهرة اللغوية الذي أجراه عليها " دوسوسير" (لسان، لغة، كلام) و حصره موضوع الدراسة في اللغة دون الكلام، فإن جل الدراسيين عند حديثهم عن العلاقة بين التداولية و اللسانيات البنيوية سيشترون في قولهم أن التداولية مكملة للبنيوية لأنها تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان المبعد من مجال الدراسة علم اللسان في نظر " دوسوسير"، وذلك حسب قوله " اللغة تختلف عن الكلام في انها شيء يمكن دراسته مستقلة"¹.

فاللسانيات البنيوية تهتم بدراسة اللغة على أنها نظام و نسق (دراسة مستوياتها)، دون إعطاء الأهمية إلى الكلام أو نوايا المتكلم ولا بسياقه.

ب) علاقة التداولية بتحليل الخطاب:

تقول اجسين: " تتدخل التداولية مع تحليل الخطاب الذي يهتم بالوسائل المتعددة التي يستخدمها المتكلمون والسامعون وهم ينسجون الجمل كما يقول: "كريستال" يهتم كل من تحليل الخطاب والتداولية بتحليل المحادثة ويشتركان في بضعة مفاهيم فلسفية و لغوية تبلورت لمعالجة هذا التحليل"². ربط الخطاب بالسياق الذي ورد فيه، وهذا هو مجال البحث التداولي.

ج) علاقة التداولية بمستويات اللغة (النحو والدلالة):

علم الدلالة: يكاد يكون علم الدلالة اقرب الحقول إلى التداولية، ويرى كريستال أن كلا من التداولية و الدلالة يدرس ما يدور في ذهن المتكلم وبما يفكر به السامع و

¹ - علم اللغة العام، فردينان دوسوسير، ترجمة يو ئيل يوسف، دار الكتب للطباعة و النشر و التوزيع، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988، ص 33.

² - التداولية عند العلماء العرب، ص 27-28.

ما يتضمنه الكلام من معانٍ ناجمة عن التعبير عن شيء ما بطريقة معينة، كما يدرس المعرفة والعقائد والافتراضات المسبقة عن العالم الذي تحدث عنه المتكلم والسامع و يقول فرشورن: يدرس التداولية المعني مستقلا عن السياق وتدرس التداولية المعني كما يحدد في السياق الذي يرد فيه ¹.

تعد التداولية من ابرز مدارس اللغويات علي المستوي الدلالي فهي لا تكتفي بالمعجم وإنما تستعين بقرائن كثيرة لتأويل الكلمات، و الجمل، واستنباط الظاهر للكشف عن المعني الخفي، وغير المباشر وغير الحرفي، مثلما تسعين بمعطيات علم الاجتماع اللغوي، وعلم النفس، والمنطق، ونظرية تحليل الخطاب فضلا عن علم الدلالة البنوي². الدلالة تعني التلازم بين شيئين الأول هو الدال و الثاني هو المدلول بحيث تعلم حال احدهما من حال الآخر.

النحو:

فإذا كان النحو يهتم بدراسة الخصائص الشكلية والبناءات اللغوية، وكان علم الدلالة يعني بدراسة العلاقات القائمة بين الماهيات اللغوية و بين العالم الخارجي.

فان التداولية لا تغوص في متاهات المعاني لأن المعنى يضطرننا في بعض الصيغ اللغوية إلى العودة لدراسة الطريقة التي قام من خلالها المتكلم ببناء الجملة، فحينها يتلفظ المتحدث بجملة فإنه يحيلنا شئنا أم أبينا إلى واقع أو إلى حالة الأشياء أو الموضوعات التي يتحدث عنها. و قد لا يكون هذا الواقع ممثلا بالضرورة في

¹ - شظايا لسانية، د. مجيد الماسطة، ص 63.

² - مدخل إلى علم اللغة، ص 232.

الجملة و بالتالي يجب أن يراعي سياق اللفظ، والعناصر المركبة للجملة لكي يفهم ما يقوله المتحدث¹.

د) المنطق:

اهتم الفلاسفة بالعلاقة بين المنطق و اللغة من أيام أفلاطون في محاورته كرتيلس حتى يومنا هذا متمثلين بكارناب، و برتراندرسل، جون أوستين، لذا يرى عموم الفلاسفة كما يقول ميير: إنّ استعمال اللغة الصحيح، يفترض استعمال المنطق وأنّ اللغة الطبيعية صورة مشوهة للغة و المنطق، وقالوا إنّ اللغة رديفة المنطق تماما مثلما أنّ المنطق رديف الفلسفة. و تسعى التداولية إلى إيجاد الحلول لبعض المشاكل التي لا يمكن معالجتها بمجرد استخدام المنطق أو استخدام قوانين تشومسكي الشبيهة بالمنطق.

و للتدليل على عدم استطاعة المنطق وحده حل بعض الإشكالات اللغوية يورد لبيتش هذا المثل: (أن تتزوج وتنجب أطفالا خير من أن تنجب أطفالا و تتزوج)، إذ لا يميز المنطق تسلسل المعطوف و المعطوف عليه، أي أنه لا يميز بين أن ترد لفظة (تتزوج) قبل (تنجب أطفالا) أو بعدها، لهذا لا يستطيع المنطق تفسير صحة هذه المقولة التي لا يمكن تفسيرها إلا باللجوء إلى التداولية، التي ستأخذ القيم الاجتماعية بنظر الاعتبار في مثل هذه الحالات².

و) الفرق بين الرؤية التداولية و الرؤية الدلالية :

¹ - مقدمة في علم الدلالة الألسني، هريوت بركلي، ترجمة، قاسم مقداد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط1، 1990، ص

108-107.

² - شطايا لسانية، ص 63-64.

إن علم الدلالة يشارك التداولية في دراسة المعنى، على خلاف العناية ببعض مستوياته، فإذا كانت الدلالة تهتم بالمعنى كعلاقة ثنائية بين الشكل ومعناه (س تعنى ص) مثلاً: " اشعر بأني جائع " نوعاً ما تعنى " أنا جائع " .

فان التداولية يمكن النظر إليها على أنها علاقة ثلاثية بين المتكلم و المعنى و اللفظ مثل: (ع تعنى ص بواسطة س)، و بمجرد وجود المتكلم في الصيغة فمن الصعب استبعاد المخاطب كما يستدعي السياق و الظروف (مكان، وزمان اللفظ)¹.
فالدلالة تبحث في المعنى بعيداً عن السياق، أما التداولية فهي تربط المعنى بالسياق الذي يرد فيه، وهذا الاختلاف لا يعني استقلال التداولية عن الدلالة بقدر ما يدل على التكامل بينهما.

13- المجالات التي تهتم بدراستها التداولية :

تتمثل مهام التداولية فيما يلي:

تهتم التداولية بقضية التلاؤم بين التعبيرات الرمزية و السياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية².

السعي لتجاوز النظرة الصورية للغة التي كانت محل اهتمام المدارس اللسانية السابقة، من أجل العناية الكافية بالظروف المواتية عند استعمال اللغة³.

أي تجاوز التصورات الصورية المجردة للغة خاصة عند اللساني الأمريكي تشومسكي فهي تهتم باللغة عند استعمالها.

¹ - التداولية في الفكر الأنجلوساكسوني، المنشأ الفلسفي والمأل اللساني، ملتقى علم النص، مجلة اللغة و الأدب، الجزائر، العدد 17، 2006، ص 22.

² - التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 18.

³ - الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مطبعة النحل الجديدة الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص 27.

كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات أي توفر المقدمات و التمهيدات من خلالها سنستنتج، إن كانت المقدمة صحيحة حتما تكون النتيجة صحيحة و أن كانت المقدمات خاطئة فمن الطبيعي النتيجة تكون خاطئة¹.

التداولية هي دراسة استعمال اللغة بحيث لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، لكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي اعتبارها كلاما محدد صادرا من متكلم محدد و موجه إلى مخاطب محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد يدرس كل ما يقال للوصول أي تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم و يبحث نوع الدراسة هذا كيفية إدراك قدر كبير مما لم يتم قوله على انه جزء مما يتم قوله علي انه جزء مما يتم اصاله أي انه دراسة المعنى غير المرئ²، التداولية لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ، يقتضي وجود المتكلم والمستمع و الخطاب في سياق محدد بعبارة أخرى هي دراسة استعمال اللغة غرض عن الدراسة اللغة.

تهتم **التداولية** بدراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال، يثير هذا المنظار التساؤل حول ما يمكن أن يحدد ما يقال و ما لم يتم قوله. ويرتبط الجواب الرئيس بمفهوم التباعد DISTANCE. الذي ينطوي على القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي على خبرة مشتركة إذ يحدد المتكلمون مقدار ما يحتاجون إلى قوله، بناء على افتراض قرب المستمع أو بعده، أي أنها تدرس التعبير عن التباعد النسبي³.

14- تصنيف العرب القدامى لأفعال الكلام:

في التراث العربي، تندرج ظاهرة "الأفعال الكلامية" ضمن مباحث علم المعاني، وموضوع هذا الفرع اللغوي، في ذلك التراث هو "تتبع خواص تراكيب الكلام في

¹ - التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، ص27.

² - المرجع نفسه، ص26.

³ - التداولية عند العلماء العرب، ص62.

الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان... ليحتز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال"¹.

وتندرج ظاهرة " الأفعال الكلامية " تحديدا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة ب " الخبر والإنشاء " وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات، ولذلك تعتبر "نظرية الخبر والإنشاء" عند العرب - من الجانب المعرفي العام- مكافئة ل: "مفهوم الأفعال الكلامية " عند المعاصرين. وقد آثرنا أن نستخدم، في هذا الفصل، الاصطلاح العربي " الخبر والإنشاء " بدلا من المصطلح الغربي " الأفعال الكلامية"، وذلك بقصد الانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول و البعد عن التشويش الاصطلاحي والفوضى المفهومية...²

(أ) معايير تمييز العلماء العرب بين الخبر و الإنشاء:

إنّ التمييز الأشهر بين "الخبر" و "الإنشاء" (أو "الطلب" بتعبير السواد الأعظم من علماء تلك المرحلة) هو التمييز بحسب الشرط المبدئي المعروف، والذي كان محل إجماع بين العلماء العرب في تلك المرحلة: فالخبر هو ما يقابل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه. وقد تعددت النصوص المأثورة عن علماء تلك المرحلة من عمر البلاغة العربية وكثرت كثرة بالغة تدل على إجماعهم على ذلك.³

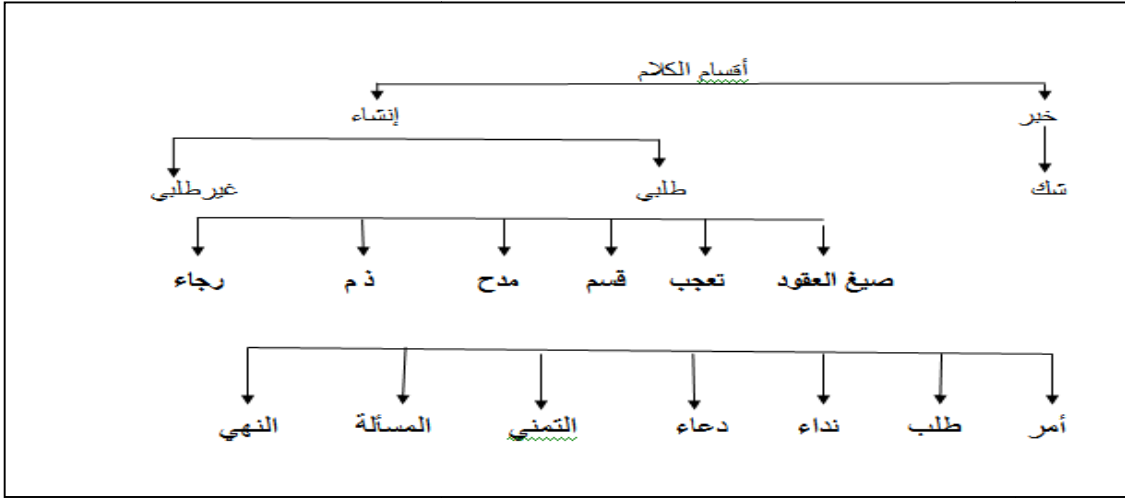
لقد تعددت تقسيمات العرب القدامى للكلام وأضرب الخبر والإنشاء بوجه خاص، وهذا ما يتضح أكثر في كتابات الأصوليين و النحاة و المتكلمين و البلاغيين بشكل خاص.

¹ - التداولية عند العلماء العرب، ص49.

² - المرجع نفسه، ص49-50.

³ - المرجع نفسه، ص58،59.

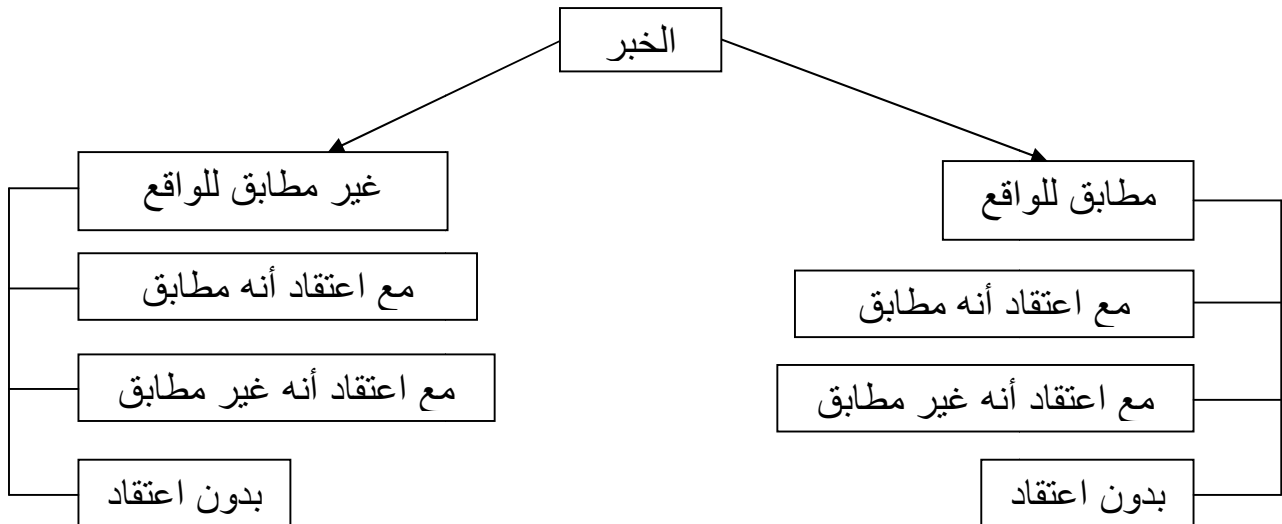
وأهم هذه التقسيمات موضح في النموذج الذي وضعه "السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم"¹:



ب) أفعال الكلام عند العرب القدامى :

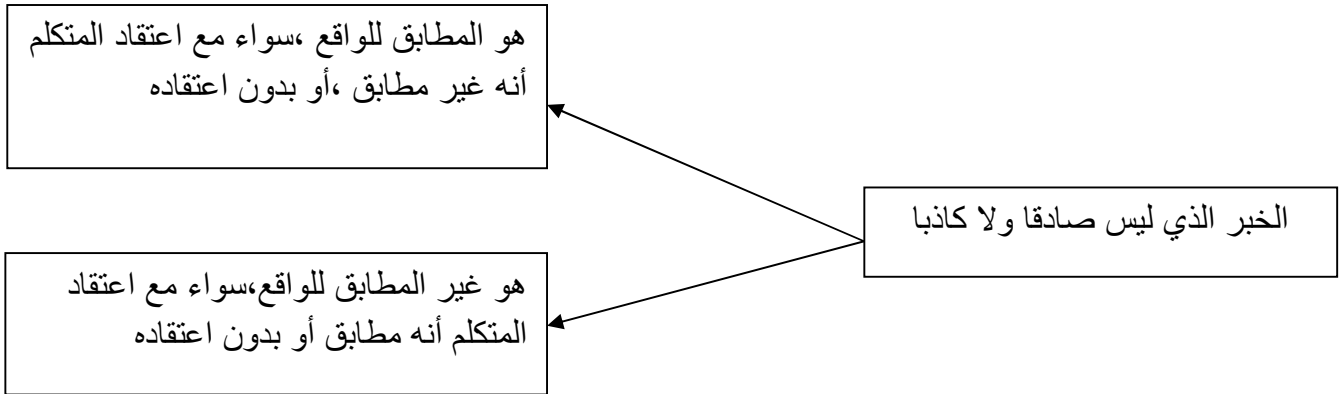
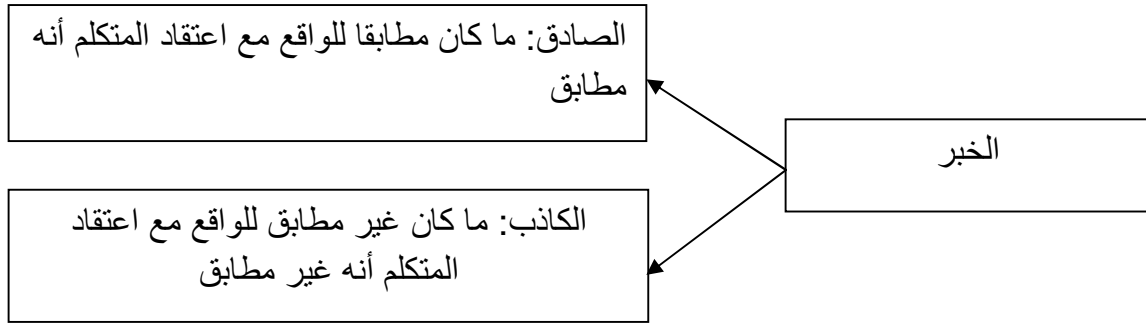
ب1) القسم الأول: الخبر:

تقسيم منسوب للجاحظ: أورد سعد الدين التفتنازاني التقسيم الآتي ونسبه إلى الجاحظ (ت 200 هـ)، يلخص مضمونه الرسم التالي:²



¹ - مذكرة التخرج لإستكمال شهادة الماستر تخصص علوم اللسان، ظواهر التداولية في الخطاب القرآني - سورة القصص أنموذجا - من اعداد الطالبتين - فضيلة بوعافية - مديحة قارة. 2011-2012. ص110-111.
² - التداولية عند العلماء العرب، ص92-93.

يرى الجاحظ أن الخبر الذي يوصف "بالصادق" من بين هذه الأنواع الستة وهو ما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد صاحبه أنه مطابق، وأن الذي يوصف ب"الكاذب" منها ما يكون غير مطابق للواقع مع اعتقاد صاحبه أنه غير مطابق¹. وأما الأنواع الباقية (وهي أربعة)، فلا توصف بأنها "صادقة" ولا "كاذبة". و عليه تحصر الأنواع الصادقة والكاذبة من الخبر في التحديدات الآتية:



¹ - المرجع نفسه ، ص93.

فالجاحظ يحتكم إلى معيارين في الحكم على صدق الخبر أو جذبته، وهما: مطابقة الواقع، واعتقاد المخبر (أو قصده)¹.

ب-1-1) الإنشاء:

فاصطلح الإنشاء مثلا، لم يحظى بالرواج في مصنفات الأولين، فكان قسيم الخبر لديهم هو الطلب، فلا تجد الإنشاء ذكرا عند كثير من أرباب المعاني، كعبد القاهر الجرجاني، وأبي يعقوب السكاكي من بعده. فقد عبّر أغلبهم عنه بمصطلح الطلب، باستثناء فئة قليلة هديت إلى جعله قسيما للخبر ابتداء من القرن الخامس الهجري، كنجم الدين الكاتبي (ت 493 هـ) الذي استخدمه استخداما مدققا، غير أنه ظل حبيس "رسالته الشمسية" وشروحها، إلى أن تلقفه محمد بن علي الجرجاني، فأداعه بين الدارسين بقوله: "الإنشاء: كلام لفظه سبب لنسبة غير مسبوق بنسبة أخرى". أي أن في كلام العرب أمرين أساسيين هما الطلب و الخبر حسب تصنيف الأوليين.

يقول سعد الدين التفتا زاني (ت 791 هـ): " فالإنشاء إن لم يكون طلبا كأفعال المدح و الذم وصيغ العقود و القسم وربّ ونحو ذلك فلا يبحث عنها لقلّة المباحث البيانية المتعلقة بها، لأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء"².

ب-1-2) الإنشاء الطلبي: يتمثل في:

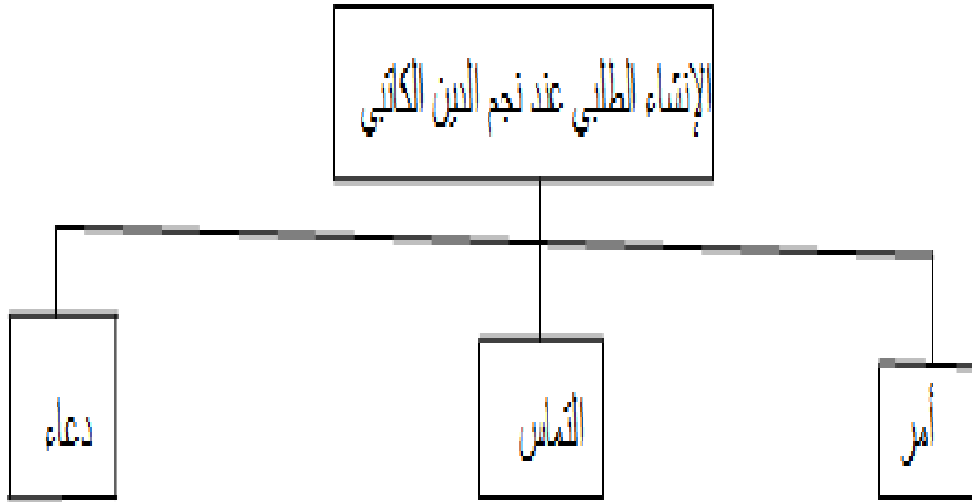
الأمر والدعاء و الالتماس: فمن ذلك الأمر والدعاء و الالتماس، كما قرر الكاتبي. ولا يسلك الكاتبي طريق تحديد أي من هذه الأنواع، إلا عبر رؤية تداولية فحوها النظر إلى حالة المتكلم أو منزلته، مقارنا مع المخاطب، فقد نص الكاتبي

¹- المرجع السابق، ص 94.

²- نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، كلية الأدب و العلوم الإنسانية والاجتماعية ص9، ملاوي صلاح الدين، المرجع نفسه، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ص14، كلية الأدب الإنسانية و الاجتماعية ص14، جامعة محمد خيضر- بسكرة- ص14.

على أن الطلب " مع الاستعلاء أمر، كقولنا: اضرب أنت، ومع الخضوع سؤال و دعاء، و مع التساوي و التماس"، وهذا يعني أن الطلب يسمى " أمر" إذا صاحبه استعلاء المتكلم على المخاطب، ويسمى " التماسا " إذا تساوى المتكلم مع المخاطب، ويكون " دعاء " أو " سؤالا " إذا خضع المتكلم للمخاطب، ف "منزلة" المتكلم مقارنة ب " منزلة " المخاطب هي التي تصبغ "الطلب" بصيغة خاصة ويؤدي بها اللفظ غرضا خطابيا خاصا ووظيفة تواصلية معينة¹.

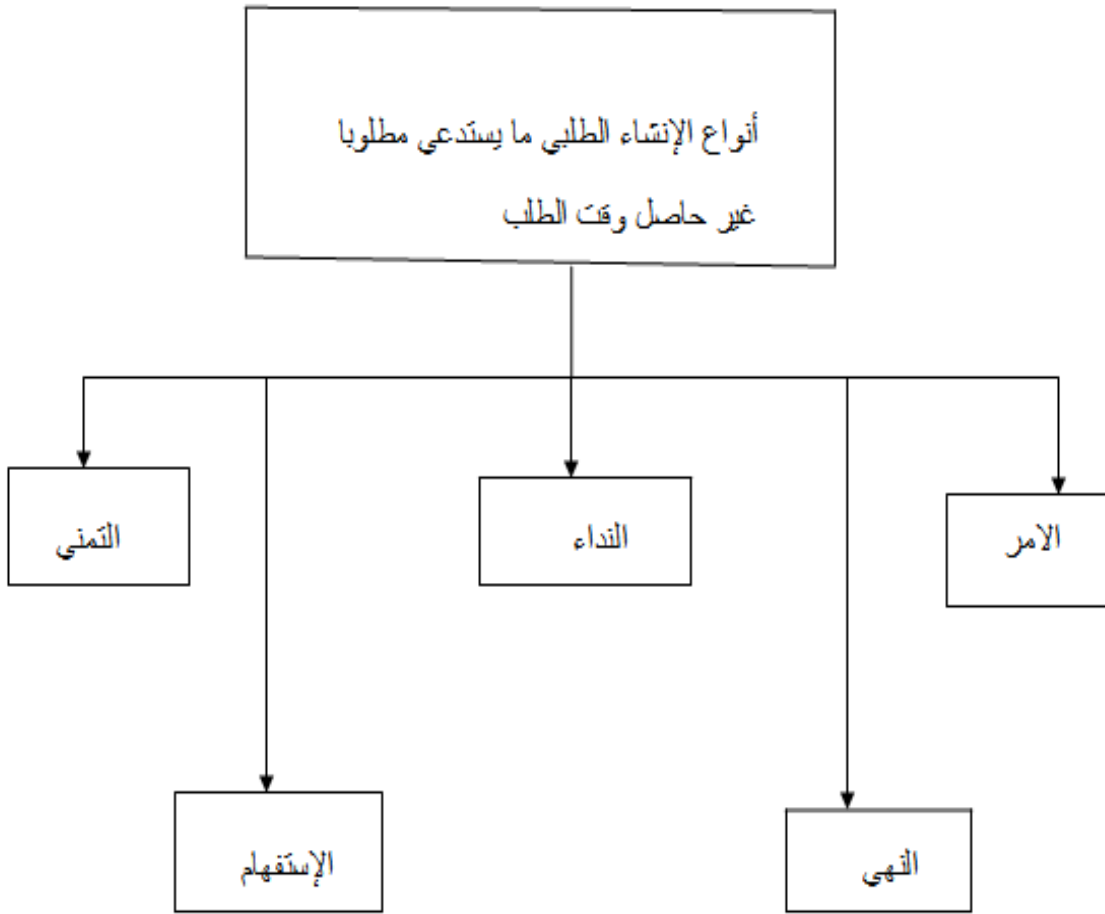
وهذا المخطط يبين لنا أقسام الإنشاء الطلبي وهي على النحو الآتي:²



¹- التداولية عند العلماء العرب، 105-106.

²- المرجع السابق، ص105-106.

وعليه فإن أساليب الإنشاء الطلبي الأصلية، عند جمهور العلماء، خمسة، و يلخصها الرسم الآتي:¹

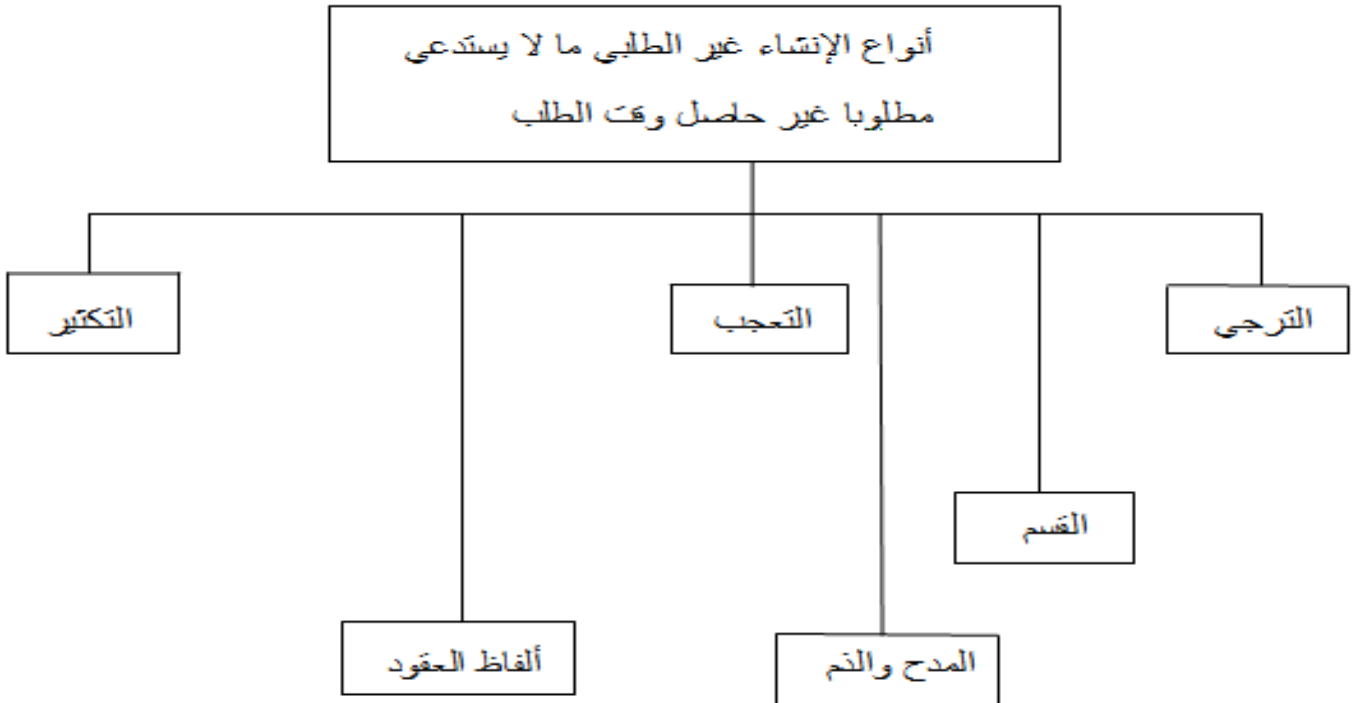


¹ - التداولية عند العلماء العرب، ص117.

ب1-3) الإنشاء غير الطلبي:

هو الضرب الثاني من الأسلوب الإنشائي ولكن لا طلب فيه، فلا يستلزم مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وأنواعه عند جمهورهم هي: الترجي، والقسم، والتعجب، والمدح، والذم، وصيغ المقاربة و الرجاء، وألفاظ العقود...الخ¹.

ونلخص أهم الأصناف التداولية لـ "الإنشاء غير الطلبي" كما قسمها جمهور علمائنا في الخطاطة أدناه².



¹- التداولية عند العلماء العرب، ص 118.
²- المصدر نفسه، ص 128.

صفوة العقل ومحصول الحديث أن العلماء العرب لم يغفلوا عن التمثيل المكون الوظيفي التداولي في النظرية اللغوية العربية، فقد استبان من غير وجه واحد أنهم عالجوا الجملة على مساق التخاطب، وتواصل فوها من حيث هي أداة لا تتم الفائدة الإبلافية دونها، ولا يتحقق بغيرها بيان¹.

¹ - ملاوي صلاح الدين، ص26.

الفصل الثاني

التداولية عند علماء الأصول

الشوكاني - أنموذجا -

1- نبذة تاريخية عن حياة الشوكاني:

فيما يتعلق بالشوكاني – رحمه الله تعالى¹-

1-1- اسمه ونسبه: هو الشيخ العلامة الفقيه الأصولي محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن مرزوق الشوكاني² ثم الصنعاني.

وقد سلسل نسبة إلى آدم عليه الصلاة والسلام، كما في ترجمة والده من البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (478/1-479).

1-2- ولادته: ذكر في البدر الطالع (214/2-215) أنه ولد حسبما وجد بخط والده في وسط نهار يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1173هـ، بمحل هجرة شوكان، وكان والده قد إنتقل إلى صنعاء واستوطنها، ولكنه خرج إلى وطنه القديم في أيام الخريف، فولد له صاحب الترجمة محمد هناك.

1-3- نشأته: نشأ الشوكاني بصنعاء، في بيت من بيوت العلم، فقد كان والده من العلماء الذين تولوا قضاء صنعاء، وقد استمر في القضاء مدة أربعين سنة.

في هذا البيت العلمي نشأ الشوكاني فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين، فخرمه على الفقيه حسن بن عبد الله الهبل، وجوده على جماعة من مشايخ القرآن بصنعاء.

1- مصادر ترجمته : البدر الطالع للشوكاني (225-214/2)، التاج المكلل (ص305-317)، وأبجد العلوم (211-201/3) كلاهما لصديق حسن خان، نفحات العنبر للحوثي (ص 435-451)، درر نحور الحور العين لجحاف (ص 421-434)، هدية العارفين للبغدادي (2-465)، رسالة المستطرفة للكتاني (ص 114)، نيل الوطر لزبارة (297/2-302)، الفتح المبين في طبقات الأصوليين للمراغي (3-144-145)، فهرس الفهاريس للكتاني (2-408-412)، الأعلام للزركلي (7/)، معجم المؤلفين لكحالة (11/53)، المجددون في الإسلام للصعدي (ص472-475)، مقدمة كتاب الروضة الندية للأخ محمد صبحي حلاق، الإمام الشوكاني حياته وفكره للدكتور عبد الغني الشرجي، الشوكاني مفسرا للدكتور محمد حسن الغماري، مقدمة كتاب قطر الولي للدكتور إبراهيم هلال.

2- نسبة إلى هجرة شوكان، وهي قرية من قرى السحامية إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم. (البدر الطالع/480/1).

ثم حفظ "الأزهار" للإمام المهدي، ومختصر الفرائض للعصيفري، والملحة للحريري، والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للفتازاني، والتلخيص للقزويني، والغاية لابن الإمام، وبعض مختصر المنتهي، لابن الحاجب، ومنظومة الجزري، ومنظومة الجزار في العروض، وآداب البحث للعضد، ورسالة الوضع له أيضاً.

وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع في الطلب، وبعضها بعد ذلك.

1-4- طلبه للعلم: قرأ على والده في شرح الأزهار وشرح الناظري لمختصر العصيفري، وقرأ أيضاً في شرح الأزهار على السيد العلامة عبد الرحمن بن قاسم المداني، والعلامة أحمد بن عامر الحدائي، و أحمد بن محمد الحرّازي وبه انتفع في الفقه وعليه تخرج وطالت ملازمته له نحو ثلاث عشرة سنة، وكرر عليه قراءة شرح الأزهار وحواشيه، فقرأ عليه بيان ابن مظفر وشرح الناظري وحواشيه، وقرأ الملحة في النحو وشرحها على السيد العلامة اسماعيل ابن الحسن بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد وقواعد الإعراب وشرحها للأزهري والحواشي جميعاً على العلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي، وشرح المفتي على الكافية على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والعلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي، وأكمله من أوله إلى آخره على كل واحد منهما، وقرأ شرح الخبيصي على الكافية وحواشيه على العلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي من أوله إلى آخره، وكذلك قرأه من أوله إلى آخره على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، وقرأ عليه أيضاً شرح الجامي من أوله إلى آخره، وشرح الرضى على الكافية، وبقي منه بقية يسيرة وكذلك شرح الشافية للطف الله الغياث، وكذلك شرح التهذيب للشرّازي واليزيدي من أولهما إلى آخرهما كذلك شرح التلخيص المختصر للسعد وحاشرته للطف الله الغياث¹، ماعدا بعض المقدمة فعلى العلامة علي بن هادي عرهب، وقرأ شرح إساعوجي للقاضي زكريا على العلامة عبد الله بن

1- كتاب : الشوكاني، "إرشاد الفحول"، ص14.

إسماعيل النهمي، كذلك قرأ عليه الشرح المطول للسعد على التلخيص وحاشيته للشلبي وللشريف، أما حاشية الشريف فما تدعو إليه الحاجة، وكذلك الكافل وشرحه لابن لقمان.¹

وقرأ شرح الشمسية للقطب، وحاشيته للشريف على العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وقرأ شرح الغاية على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني وحاشيته لسيلان، وشرح العضد على المختصر، وحاشيته للسعد، وما تدعو إليه الحاجة من سائر الحواشي، وكمل ذلك على العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وشرح جمع الجوامع للمحلي، وحاشيته لابن أبي شريف على شيخه السيد الامام عبد القادر بن أحمد، وكذلك شرح القلائد للنجري، وشرح المواقف العضدية للشريف، واقتصر على البعض من ذلك.

وقرأ شرح الجزرية على العلامة هادي بن حسين القارني، وقرأ جميع شفاء الأمير الحسين على العلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي، وسمع أوائله على العلامة عبد الرحمن بن حسن الأكويع .

وقرأ البحر الزخار وحاشيته وتخرجه، وضوء النهار على شرح الأزهار على السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، ولم يكمل.

وقرأ الكشاف وحاشيته للسعد، وبعد انقطاعها حاشيته للسراج، مع مراجعة غير ذلك من الحواشي على شيخه العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي وتم ذلك إلا فوتاً يسيراً في آخر الثلث الأوسط.

وسمع صحيح مسلم جميعاً وسنن الترمذي جميعاً وبعض موطأ مالك وبعض شفاء القاضي عياض، على السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، وكذلك سمع منه بعض جامع الأصول، وبعض سنن النسائي، وبعض سنن ابن ماجه، وسمع جميع سنن أبي داود وتخرجه للمنذري، وبعض المعالم للخطابي وبعض شرح ابن رسلان على العلامة الحسن

1- المرجع السابق، ص15.

بن إسماعيل المغربي، وكذلك بعض المنتقى لابن تيمية على السيد عبد القادر بن أحمد، وكذلك سمع شرح بلوغ المرام على العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وفات بعض من أوله، وكذلك سمع على العلامة عبد القادر بن أحمد بعض فتح الباري، وعلى الحسن بن إسماعيل المغربي بعض شرح مسلم للنووي، وبعض شرح العمدة على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والتتقيح في علوم الحديث على العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، والنخبة وشرحها على العلامة القاسم بن يحيى، وبعض ألفية الزين العراقي وشرحها له على العلامة عبد القادر بن أحمد، وجميع منظومة الجزائر وجميع شرحها له في العروض على العلامة عبد القادر بن أحمد.¹

وشرح أدب البحث وحواشيه على العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والخالدي في الفرائض، والضرب والوصايا والمساحة وطريقة ابن الهائم في المناسخة على السيد العارف يحيى بن محمد الحوثي، وبعض صحاح الجوهرية، وبعض القاموس على السيد العلامة عبد القادر بن أحمد مع مؤلفه الذي سماه "فلك القاموس".

1-5- شيوخه: وهم من أبرز القضاة والعلامة والأئمة في زمانه وهم:

1- العلامة أحمد بن عامر الحدائي.

2- العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر القابلي الحرازي.²

3- العلامة إسماعيل بن الحسن المهدي بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد.

4- العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي .

5- القاضي عبد الرحمن بن حسن الأكوغ.

1- المرجع السابق، ص16.

2- وهم بعض الباحثين فجعله إثنين أحمد بن محمد الحرازي والثاني أحمد بن أحمد بن مطهر القابلي وهما واحد، ينظر ترجمته في : البدر الطالع (97-96/1).

- 6- السيد عبد الرحمن بن قاسم المداني.
- 7- الإمام عبد القادر بن أحمد الكوكباني.
- 8- العلامة عبد الله بن إسماعيل النهمي.
- 9-العلامة عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم .
- 10-العلامة علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد.
- 11-والده العلامة القاضي علي بن محمد الشوكاني.
- 12-علي بن هادي عرهب.
- 13-العلامة القاسم بن يحي الخولاني.
- 14-الشيخ هادي بن حسين¹ القارني الصنعاني.
- 15-يحي بن محمد الحوثي.
- 16-يوسف بن محمد بن علاء الدين الزجاجي الزبيدي الحنفي.

1-6- بعض تلاميذه:

- 1- القاضي العلامة إبراهيم بن أحمد بن يوسف الرباعي، ولد في عام (1199هـ):
- 2- المتوكل على الله أحمد بن الإمام المنصور علي بن الإمام المهدي العباس (1170-1231هـ).

1-وهم بعضهم فقال : هادي بن حسن، ينظر : البدر الطالع (2/319-320).

- 3- أحمد بن محمد بن علي الشوكاني وهو ابن الإمام الشوكاني (1229-1281هـ).
 - 4- القاضي العلامة الحسن بن محمد بن صالح السحولي (1190-1234هـ).
 - 5- القاضي العلامة الحسين بن يحيى السلفي الصنعاني (1160-1230هـ).
 - 6- العلامة عبد الرحمان بن يحيى الأنسى ثم الصنعاني (1168-1250هـ).
 - 7- علي بن محمد بن علي الشوكاني ابن الإمام الشوكاني (1217-1250هـ).
 - 8- الفقيه لطف الله بن أحمد بن لطف الله جحاف (1189-1243هـ).
 - 9- السيد العلامة محمد بن الحسن المحتسب (1170-1157هـ).
 - 10- القاضي العلامة يحيى بن علي بن محمد الشوكاني أخو المؤلف (1190-1267هـ).
- وغيرهم كثير، ولولا خشية الإطالة لذكرناهم.

1-7- بعض مؤلفات الشوكاني - رحمه الله تعالى -¹

- لا يزال كثير من مؤلفات الشوكاني - رحمه الله تعالى - مخطوطا لم يطبع بعد. وسأذكرها - إن شاء الله تعالى - أهم مؤلفاته المطبوعة:
- 1- إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر، وقد جمع فيه أسانيده - رحمه الله تعالى -.
 - 2- إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد و المعاد و النبوات.
 - 3- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول.
 - 4- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، في مجلدين (تراجم).

1- كتاب الشوكاني المعنون ب إرشاد الفحول، ص18، 19.

- 5- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين.
- 6- الدراري المضية شرح الدرر البهية، في مجلد كبير (فقه).
- 7- شرح الصدور بتحريم رفع القبور.
- 8- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية، (مجلد).
- 9- القول المفيد في أدلة الإجتهد و التقليد¹.
- 10- أدب الطلب ومنتهى الأرب أو طبقات المتعلمين.
- 11- قطر الولي على حديث الولي.
- 12- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، (4 مجلدات كبيرة) (فقه).
- 13- فتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدرّاية من علم التفسير (5 مجلدات).

1-8- توليه القضاء الأكبر:

في عام 1209هـ توفي كبير قضاة اليمن، القاضي يحيى بن صالح الشجري السحولي، وكان مرجع العامة و الخاصة، وعليه المعول في الرأي والأحكام، ومستشار الإمام والوزارة.

قال الشوكاني - رحمه الله تعالى -: >> وكنت إذ ذاك مشغلا بالتدريس في علوم الإجتهد و الإفتاء و التصنيف، منجمعا عن الناس لا سيما أهل الأمر و أرباب الدولة، فإنني لا أتصل بأحد منهم كائنا من كان، ولم يكن لي رغبة في سوى العلوم، وكنت أدرس الطلبة في اليوم الواحد نحو ثلاثة عشر درسا...<<.

1- المرجع السابق، ص 19-20.

ثم قال: >> فلم أشعر إلا بطلاب لي من الخليفة بعد موت القاضي المذكور بنحو أسبوع، فعزمت إلى مقامة العالي، فذكر لي أنه قد رجح قيامي مقام القاضي المذكور، فاعتذرت له بما كنت فيه من الإشتغال بالعلم، فقال: القيام بالأمرين ممكن وليس المراد إلا القيام بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومي اجتماع فقلت: سيقع مني الإستخارة لله، و الإستشارة لأهل الفضل، وما اختاره الله ففيه الخير، فلما فارقت ما زلت مترددا نحو أسبوع، ولكنّه وفد إلى غالب من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء، و أجمعوا على أن الإجابة واجبة، و أنهم يخشون أن يدخل في هذا المنصب الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يوثق بدينه و علمه، وأكثروا من هذا، وأرسلوا إليّ بالرسائل المطولة، فقبلت مستعينا بالله، ومتكلاً عليه، ولم يقع التوقف على مباشرة الخصومات في اليومين فقط، بل انثال الناس من كل محلّ، فاستغرقت في ذلك جميع الأوقات إلا لحظات يسيرة، قد أفرغتها للنظر في شيء من كتب العلم أو لشيء من التحصيل وتتميم ما قد كنت شرعت فيه، وأشتغل الذهن شغلة كبيرة وتكدرّ خاطر تكدرًا زائدا...¹

وسأل الله بحوله وطوله أن يرشدني إلى مرضيه، ويحول بيني وبين معاصيه، ويبسرلي الخير حيث كان، ويدفع عني الشر، ويقمني في مقام العدل ، ويختارلي ما فيه الخير في الين والدنيا <<².

هذا ولعل الشوكاني - رحمه الله تعالى - رأى في توليه منصب القضاء فرصة لنشر السنة، وإماتة البدعة، والدعوة إلى منهج السلف الصالح، وكذلك دعوة الناس إلى العمل بالكتاب و السنة و الإبتعاد عن التقليد الأعمى.

1- المرجع السابق، ص19-20.
2- البدر الطالع(1|464-466).

وكذلك يسمح له هذا المنصب بنشر ما يراه حقا و صوابا، ويبعد عنه أو يخفف من إيذاء مخالفه له، وعلى كل حال فقد قبل الشوكاني - رحمه الله تعالى - هذا المنصب، وظل فيه إلى أن مات، وقد تولاه لثلاثة من الحكام، وهم:

1 - المنصور علي بن المهدي العباس (1151-1224هـ) ومدة حكمه 35 سنة.

2- ابنه المتوكل على الله أحمد بن المنصور علي (1170-1231هـ) ومدة حكمه 7 سنوات.

3- المهدي عبد الله بن المتوكل على الله أحمد (1208-1251هـ)، ومدة حكمه 20 سنة.

ويعتبر تولي الشوكاني - رحمه الله تعالى - لمنصب القضاء ربحا عظيما لنشر، السنّة والدعوة إليها، ونشر الحق والعدل، وإنصاف المظلوم، ومنع أو تخفيف الرشوة و الفساد بشتى صورته، ولكنه حرمانا من إنكار الشوكاني - رحمه الله تعالى - على حكام عصره، فمهما يكن من أمر فإنّ مثل هذا المنصب لا بدّ أن يدفع بصاحبه إلى المداراة. وكذلك لم يكن الشوكاني من ناحية العلم و التعليم و التأليف بعد القضاء كما كان قبله، كما سبق النقل عنه، والله المستعان.

1-9- وفاته:

مهما طال العمر فلا بدّ من دخول القبر، ولا بدّ من العرض على الجبار المنتقم، ليقتص للظلوم من الظالم¹.

فبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم و التعليم، والدعوة إلى الإجتهد ونبذ التقليد، والدعوة إلى التوحيد، والصبر على أذى المبتدعين، والمقلدين والحاقدين والحاسدين، ومن شابهمهم.

1- المرجع السابق، ص21.

توفي الشوكاني - رحمه الله تعالى - سنة 1250 هـ عن سبعة وسبعين عاما، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكننا وإياه فسيح جناته.¹

توطئة:

إن الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في التراث العربي ليس تأصيلا للمفاهيم المعروضة في اللسانيات الحديثة بقدر ما هو ضروري لبيان الامتدادات المعرفية العربية قديما، وإن لم تكن تحظى بالإحتفاء، أحيانا من لدن بعض الدارسين لاحتقائهم بكل وافد حديث من المقولات الغربية، و الواقع أن حاجة البحث اليوم إلي مقولات الدرس الغربي الحديث و كشوفاته، لا تلغي بأي حال حاجته القائمة إلى التراث العربي و الإنساني علي اختلاف مشاربه، لتحديد رؤاه، و ضبط المعرفة الإنسانية، لئلا تكون مسايرة للفكر الحديث، ومعزولة عن أي مرجعية أو هوية، كما هو واقع اليوم في كثير من المجالات.²

وعن أسبقية العرب لمعرفة أصول في هذا الاتجاه، يقول محمد سويرني : " أن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماء، رؤية واتجاهها أمريكيا وأوروبيا، فقد وظفت المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة³.

وإذا نظرنا إلي علوم تراثنا العربي من نحو، وبلاغة، وفقه، وأصول وتفسير، نجدها وحدة متكاملة في دراسة اللغة، وما يتصل بها من قرائن غير لفظية نحو منزلة المتكلم وعلاقته بالسامع، و حالة كل منهما النفسية و الاجتماعية و الأدائية، حركة ضمن ظرف التواصل الزماني والمكاني و غيرها⁴.

1-ك ت: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله تعالى - تحقيق و تعليق أبي حفص سامي بن العربي الأثري-عفا الله عنه -، الجزء الأول : دار الفضيلة، حقوق الطبع محفوظة، الطبعة الأولى 1421هـ- 2000م، دار الفضيلة للنشر و التوزيع الرياض 11433-ص.ب 10387، تيليفاكس 2333023.
2- التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادره و مجالاته: 1-2.
3- المصدر نفسه: 1-2.
4- المصدر نفسه: 9.

سنذكر بعض الأمثلة عن التداولية عند العرب وبالخصوص عند الأصوليين (نبادر إلى التوضيح انه لا يعنينا، في المقام، المباحث الفقهية والأصولية لذاتها، لكن تهمننا الاعتبار اللغوية التداولية، التي اتخذها الأصوليون المسلمون أداة ومدخلا لتوجيه دلالة من الدلالات في نصوص القرآن والسنة واستنباط حكم من الأحكام)¹.

بحيث صنف مسعود صحراوي الاعتبار اللغوية في البحث الأصولي إلى ثلاثة أنواع

هي:

النوع الأول: وهو الذي يتناول القضايا الدلالية الصريحة في كتب الأصوليين، وأمر هذا النوع يسير لوضوحه ولتعبير العلماء عنه صراحة... ويتمحور هذا النوع حول القضايا الدلالية المتعلقة بألفاظ القرآن والسنة النبوية، كالبحث عن ما يدل عليه سياق الخطاب من إيماء وإشارة وتبنيه وفحوى ومفهوم.

النوع الثاني: ويشمل القضايا والمسائل النحوية كما تصورها الأصوليون وخالفوا بها آراء النحاة المعتادة أو وافقوها، واهتدوا إلى كثير من الحلول الموقفة والناضجة لبعض المسائل النحوية، ولا سيما تلك التي فاتت النحاة.

النوع الثالث: والذي قلما يعنى به الدارسون، وهو ما يمكن تسميته " المنحنى التداولي "، ونعني به كيفية استثمارهم للمفاهيم والمقولات التداولية كـ " نظرية الأفعال الكلامية " التي بحثوها ضمن نظرية الخبر والإنشاء، أثناء بحثهم عن الدلالات وعن الطرق التي يتخذها النص لإفادة معنى أو لصناعة أفعال دينية ... وكيفية تعاطيهم بالأساليب اللغوية والأغراض الإبلابية التواصلية المنبثقة عنها.

ويبدو أن الأصوليين، من جهة التداولية، قد استأثروا بالبحث في ما فرط فيه كثير من النحاة، وذلك من جراء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالته وإدراك مقاصده

1- التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي، ص 130-131.

وأغراضه، وما يطرأ عليه من تغير ليؤدي معاني متعددة، ومن ذلك: بحثهم عن ظاهرة الأفعال الكلامية (ضمن نظرية الخبر والإنشاء)، و كمرعاة قصد المتكلم وغرضه، و كمرعاة السياق اللغوي وغير اللغوي وتحكمه في الدلالات... الخ¹.

إن تلقي القرآن الكريم بوصفه مستوى أرقى من مستويات الإنجاز الكلامي الذي تحدى به العرب في فصاحتهم وبيانهم، يقتضي العناية بالجوانب الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والمعجمية، والأسلوبية، التي تمثل اختيارات منشئه، ومقاصده الموجهة للفعل اللغوي نحو عموم الناس، وهذا ما عظم لدى المهتمين بقضية التفسير دور السياق بنوعيه، اللغوي والحالي، في تحديد المعنى النصي.

يرى كثير من المعاصرين أن موضوع السياق أو المقام كما عرفه العرب القدماء يمثل بؤرة علم الدلالة اللسانية، وأوجه استعمال اللغة في التداول اليومي، لأنه يعتبر - باختصار - عن الجانب الاجتماعي للمعنى، والوظيفة النفعية للغة في حياة الإنسان.

وفي بيان أهمية السياق يقول ابن القيم (751هـ): "السياق يرشد ألي تبين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة علي مراد التكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناضرتة"² وقدم لنا مثالا علي ذلك قوله تعالي "نق انك العزيز الحكيم" {الدخان:4}.

ونجد سياق هذه الآية يدل علي التدليل الحقيق فهو فبهذا القول يؤكد أهمية السياق في بيان المحتمل من الدليل، و التعويل عليه في بيان مراد المتكلم ... فهو علي سبيل الهزأ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم علي قومه³، فالآيات التي سبقتها لا تدل على العزة والكرامة بل على عكس ذلك من توعدهم بيوم الفصل الذي سيكون يوم مذلة لهم، بقوله عز وجل: (إن شجرة الزقوم {43} طعام الأثيم {44} كالمهل يغلي في البطون {45} كغلي

1- التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، ص 132.

2- بدائع القيم، ابن قيم الجوزية: 4-9.

3- الكشاف: 4-285.

الحميم (46) خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم {47} ثم صبوه فوق رأسه من عذاب الحميم {48} نق إنك العزيز الكريم¹ {49} {آيات من سورة الدخان: 43-49}.

كما أن سبب نزول الآية يوضح هذا المراد فليل أنها نزلت في أبي جهل، وروي أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه و سلم ما بين جبلية اعز ولا أكرم مني، فوا الله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً، فما قتله الله يوم بدر وأذله، غيره بكلمته وانزل {نق إنك العزيز الحكيم}.

في سياق الآية وسياق قبلها وسبب النزول هذا هو ما قصده ابن القيم في مدلوله قوله تعالى، كما أكد ابن القيم على أهم أركان السياق وهما (المتكلم والسامع) فيذكر بان مراد المتكلم إنما يعتمد علي فهم السامع والتوصل إلي فهم المراد من الخطاب من خلال السياق والقرائن اللغوية والمعنوية في الكشف عن قصد المتكلم، يقول ابن القيم: (ممن عرف مراد المتكلم بدليل من الأدلة وجب إتباع مراده، والألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما هي أدلة يستدل بها على مراد المتكلم، فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريقة كان عمل بمقتضاه سواء كانت بإشارة أو كتابة، أو بإيماءة أو دلالة عقلية، أو قرينة حالية، أو عادة مطردة لا يخل بها...)².

ويضرب ابن القيم مثالا آخر على أهمية السياق في فهم مقصود المتكلم إذ قال: ومن تدبر مصادر الشرع وموارده، يتبين أن الشارع الغي الألفاظ التي لم يقصد المتكلم بها معانيها، بل جرت على غير قصد منه كالنائم، والناسي، والسكران، والجاهل، والمكره، المخطئ من شدة الفرح، أو الغضب، أو المرض ونحوه، ولم يكفر من قال شدة فرجه براحلته بعد يأسه منها (اللهم أنت عدي، وأنا ربك).

1- ينظر: الكاشف: 4- 285، أسباب النزول: 601.
2- اعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية: 1-218.

ويمثل باب البيان - عند علماء الشريعة - موضوعا بالغ الأهمية في تفسير النصوص وتأويلها، إذ فيه تتحدد مقصدية صاحب الخطاب، وعرفية الاستعمال اللغوي، كما يمثل مجالا شاسعا لدراسة معاني الألفاظ، ودلالات التركيب في النصوص، ولهذا اغتنت كتابات بالبحث في ماهية البيان... وهو مصدر بان، وهو لازم ومعناه الظهور... وقد يكون متعديا بمعنى الإظهار، كما يراد الإظهار في قوله تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّنَاسٍ وَهَدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ {آل عمران: 138} والمراد إظهار الحق بالقرآن، وهنا يتجلى جيدا الفعل الكلامي الإنجازي المتمثل في وظيفة النبوة المرسله بالتحاليم في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ {النحل: 44}.

إن التعرف على التراث العربي اللغوي الذي يشكل منظومة معرفية متكاملة أفضل سبيل لمعرفة النظريات الحديثة وما هي إلا امتداده.

2- التخصيص:

إيّاك نعبد، وإيّاك نستعين، يا من هو المحمود المشكور على الحقيقة، إذ لا منعم سواه، وكل نفع يجري على يد غيره فهو الذي أجره، وكل خير يصل إلى بعض مخلوقاته من بعض فهو الذي قدره وقضاه.

فأحمده حمدا يرضاه، وأشكره يقابل نعماءه، وإن كانت غير محصاه، امتثالا لأمره، لا قياما بحق شكره، فإن لساني وجناني وأركاني، شكرا لا تقوم بشكر أقلّ نعمة من نعمه العظيمة، ولا تؤدي بعض البعض مما يجب عليّ من شكر أيّديه الجسمية¹.

والصلاة والسلام على رسوله المصطفى محمد، المبعوث إلى الأحمر من العباد و الأسود، صلاة وسلاما يتجددان بتجدد الأوقات، و يتكرران بتكرر الآتات، وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار².

1- الشوكاني، إرشاد الفحول، ص53.

2- المرجع نفسه، ص 53.

استهل الشوكاني في مقدمته للكتاب بتخصيص العبودية لله سبحانه وتعالى: ﴿إياك نعبد﴾ حيث قدم المعمول (إياك) على العامل، وهذا ما يدل على الحصر و القصر، فالله جعل العبادة متعلقة به دون غيره، لأنه خالق الكون و المتدبر في شؤونه، فالعبادة هي سر وجود الإنسان في هذه الحياة - الدنيا - كما يقول الله عزوجل، في محكم تنزيله: ﴿وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدوني﴾، {الذاريات:56}. فمن عمل صالحا من عباده جزاه الله بالفوز العظيم، و بجنات النعيم، خالدين فيها أبدا، أما الجاحدون بنعمه المنكرون لوجوده يجزيهم بجهنم يذوقون العذاب الأليم، لقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يراه﴾، {الزلزلة:7-8}.

ونطلب العون من الله على أمورنا كلها، و لا نطلب من أحد سواه فهو على كل شيء قدير، فالأمر كله بيده وحده لا شريك له. هو الذي يقدر الخير و الشر بقضائه وقدره إما للجزاء أو البلاء، والنفع والضر و اليسر والعسر فكل ما يصيب المرء إلا ما كتبه الله. قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، {القمر: 49}، كما يقول الحبيب المصطفى: خير البشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في حديث شريف عن الإيمان: ﴿أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره﴾.

إن المسلم دائم الشكر لله على نعمه الكثيرة، التي لا تعد و لا تحصى، قال ابن القيم رحمه الله:

الشكر يكون: بالقلب: خضوعا واستكانة، وباللسان: ثناء واعترافا وبالجوارح: طاعة و انقيادا.¹

يكفي بأن الله سبحانه و تعالى فضل بني آدم على سائر المخلوقات، فوهب له العقل ليميز بين الخير و الشر، وبين الحق و الباطل، وبين النافع والضرار، وكذلك بين الخطأ و

1-ابن القيم،مدراج السالكين،(246/2).

الصواب. فهو مناط التكليف، فالعبادات كاصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، لمن استطاع إليه سبيلا وغيرها. التي أوجبها على عباده، ومن شروطها أن يكون العبد عاقلا.

فالشكر صفة من صفات عباد الله الصالحين، فهو باب زيات الخيرات، بحيث قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَأَذَّنْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾، {إبراهيم: 7}، كما قال أيضا جل جلاله: ﴿ اللَّهُ عِبَادَهُ الشَّاكِرِينَ ﴾، {آل عمران: 144}، يجزيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة خير جزاء.

3- الحجاج:

وقد ذكر جماعة من أهل الأصول في هذا البحث ما وقع من الاختلاف فيها بين أهل العلم هل هي آية من كلِّ سورة، أو آية في الفاتحة فقط، أو آية مستقلة أنزلت للفصل بين كل سورتين، أو ليست بأية، ولا هي من القرآن، و أطالوا البحث في ذلك، وبالغ بعضهم فجعل هذه المسألة من مسائل الاعتقاد، و ذكرها في مسائل أصول الدين.

و الحق أنها آية في كل سورة لوجودها في رسم المصحف، وذلك هو الركن الأعظم في إثبات القرآنية للقرآن، ثم الإجماع على ثبوتها خطأ في المصحف في أوائل السور، ولم يخالف في ذلك من لم يثبت كونها قرآنا من القراء وغيرهم.

وبهذا الإجماع حصل الركن الثاني وهو النقل، مع كونه نقلا جماعيا بين جميع الطوائف.

وأما الركن الثالث: وهو موافقتها للوجه الإعراب، والمعنى العربي فذلك ظاهر.

إذا تقرر لك هذا عملت أن نفي كونها من القرآن مع تسليم وجودها في الرسم مجرد دعوى غير مقبولة. وكذلك دعوى كونها آية واحدة، أو آية من الفاتحة، مع تسليم وجودها في الرسم في أول كل سورة، فإنها دعوى مجردة عن دليل مقبول تقوم به الحجّة¹.

الحجاج عبارة عن تفاعل بين المتكلم و المتلقي، فغاية الأول التأثير في الثاني، بأجمل الألفاظ و أروع الأساليب، وأرقى الخطابات، وذلك لتبرير موقف، أو الدفع بالمتلقي إلى القيام بعمل ما، أو الاتفاق معه. ومتى كان المتكلم قادرا على إقناع المستمع كان فعله الحجاجي ناجحا و موقفا.

يقول أبو العيد الباجي (474 هـ) عن الحجاج بأنه: " من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شئنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق و المحال، و لولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتصحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم " ².

يتضمن القرآن الكريم على الحجاج في عدة آيات و سور منه، نذكر مثلا في قوله سبحانه و تعالى: ﴿ أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ﴾، {الأنبياء: 24}.

في المقصد الأول: في الكتاب العزيز، يتناول الشوكاني فيه أمر البسمة وفيما وقع من الاختلاف بين علماء الأصول هل هي آية من كل سورة، أو تحسب في بداية سورة الفاتحة كآية رغم أنها بسمة وهذا الأمر غير موجود إلا في هذه السورة .

بنى الشوكاني موقفه من هذه المسألة بمجموعة من الحجج المنطقية الدامغة التي لا تقبل أي نقاش أو تفسير بتوضيحه لمختلف المواقف المتباينة في القضية وبعدها أبدى رأيه للفصل فيها.

1- المرجع السابق، ص 176.

2- المناهج في ترتيب الحجج تحقيق عبد المجيد التركي، أبو العيد الباجي، دار الغرب الإسلامي ، ط2، المغرب 198، ص7، ص08.

بتوظيفه لنص يجمع بين المتعة والتعليم والإقناع، وقرائن لغوية (لفظية) تخدم الموضوع الذي تناوله لإدراك المقاصد و الغايات التي تظهر بشكل واضح من خلاله.

بدأ كلامه بلفظة (الحق) التي تعني الثبوت و الوجود (الأمر الثابت) باتفاق أهل العلم والاختصاص على ثبوت البسمة في خط المصحف الشريف في أوائل السورة ولم يخالف أو يعارض في ذلك من لم يثبت كونها قرآن من القراء وغيرهم.

أما الحجة الثانية التي بني عليها الشوكاني موقفه موافقة البسمة للوجه الإعرابي و المعنى العربي، أي أنها لا تخالف القراءات السبع التي انزل عليها القرآن نعني لغات العرب، وكذا التقرير والجزم بأن نفيها كونها من القرآن مع التسليم بوجودها في الرسم عبارة عن دعوة مرفوضة غير مقبولة من طرفه أي اعتبارها بأنها ليست من القرآن نزلت فقط للفصل بين سوره، كذلك دعوة كونها آية، و آية من الفاتحة، مع التسليم بوجودها في الرسم في أول كل سورة فإنها دعوة مجردة من أي دليل مقبول تقوم به الحجة.

ووظف الشوكاني أدوات التوكيد، لتبرير موقفه، ودعم رأيه، فقد بين الجرجاني فضلها ومجيئها لتأكيد وقال: " ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء هو الذي دون في الكتب، من أنها التأكيد "1.

4- الخبر:

4-1- التقرير والتأكيد:

وفي القرآن من اللغات الرومية، والهندية، و الفارسية، و السريانية، ما لا يجحد، ولا يخالف فيه مخالف حتى قال بعض السلف: إن في القرآن من كل لغات العالم. ومن أراد الوقوف على الحقيقة، فليبحث كتب التفسير، في مثل: المشكاة، والإستبرق، والسجيل، والقسطاس، والياقوت، وأباريق، والتنور²

1- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دار المدني، جدة، ط3، 1992، ص 325.
2- كتاب الشوكاني، إرشاد الفحول، ص181.

نلاحظ في هذا النص بأن الشوكاني يقر ويؤكد بصفة قطعية باحتواء القرآن الكريم على جميع لغات العالم يقصد وجود ألفاظ وكلمات من غير اللغة العربية، إضافة إلى اللغة العربية التي أنزل بها .

إن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على سيد البشرية، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بالتلاوة، المنزل باللسان العربي المبين، وهذا ما ذكر في عدة آيات، وسور منه، نذكر على سبيل الذكر، بقول عزّ و جلّ: في محكم تنزيله ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾، {يوسف:02}.

ورغم هذا فإن القرآن الكريم يحتوي على مفردات غير عربية من لغات أخرى خاصة لغات الأقوام المجاورة لشبه الجزيرة العربية كالفرس والروم والحبشة والسريان والهنود ... إلخ، لما يجمع العرب بهم من تجار وتاريخ وجغرافيا، فأثروا وتأثروا بهم على مستوى العادات و التقاليد وخصوصا اللغة التي تحمل سلوك الناطقين بها مما يؤدي إلى انتقال عادات لغوية من تلقى الفرد إلى المدونة اللغوية (الجماعة)، فتأثرت اللغة العربية باللغات الأخرى قبل نزول الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - فدخلت ألفاظ أعجمية إلى قاموسها، ثم تعربت فأصبحت ألفاظ عربية بالاستعمال، وهذا لا يخرج اللغة العربية عن أصلاتها، ويحدث الاقتراض في كل لغات العالم وفي كل زمان ومكان وهو ما يسمى بالاقتراض اللغوي حاليا لسد العجز الموجود على مستوى قاموس اللغة.

تتمثل الألفاظ الدخيلة على العربية والموجودة في القرآن قي أسماء الأنبياء والرسل، وأسماء الفواكه، أسماء الأواني والألبسة و غيرها، ونذكر منها (تابوت، إنجيل، تورا، جهنم، زكاة، سرداق، صراط، فردوس، ابراهيم، يوسف، ... إلخ)، إن وجود مثل هذه الألفاظ الكثيرة في القرآن الكريم أقربيه بعض علماء المسلمين قديما منهم السيوطي في كتابه مبهمات القرآن،

وابن قتيبة في غريب الألفاظ و غيرهم، كما أن هناك من العلماء من أنكر هذا الأمر كالإمام الشافعي رحمة الله عليه.

من كل ما ذكرناه أنفا يظهر و يتجلى صدق الخبر الوارد في هذا النص الذي عالج من خلاله الشوكاني مسألة وجود الألفاظ الأعجمية من عدمه في القرآن الكريم. بإزالة معلق بها من شكوك وإماطة ما خالجها من شكوك.

وفي نص مماثل عن الخبر بحيث عرف الشوكاني، القرآن تعريفا لغويا واصطلاحيا.

فأما التعريف اللغوي: فالقرآن في اللغة مصدر يعني القراءة.

أما اصطلاحا: فهو كلام الله المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا، وهو ما أكدّه جمهور العلماء قديما و حديثا، فلا يخالف فيه مخالف ولا يعارض فيه معارض.

كما يتضمن النص مجموعة من التقابلات الثنائية لتعريف القرآن الكريم و تمييزه عن بقية الكتب السماوية وسائر الكتب الأخرى، كالأحاديث القدسية و السنة النبوية الشريفة و كتب مختلف العلوم، وهذه الثنائيات (التقابلات) تحمل في طياتها متضمنات القول وأقوالا مضمرة لا تذكر بصريح المعنى الخفي في القول وهو ما يفسر ضمن سياق الكلام (الخطاب)¹، نذكر منها:

اعلم أنّ الكتاب لغة: يطلق على كل كتابة و مكتوب، ثم غلب في عرف أهل الشرع على القرآن.

والقرآن في اللغة: مصدر بمعنى القراءة، عرف في العرف على المجموع المعين من كلام الله سبحانه، المقروء بالسنة العباد.

وهو في هذا المعنى أشهر من لفظ الكتاب، وأظهر، فلذ جعل تفسيراً له.

1- ك ت : الشوكاني، إرشاد الفحول ص169-170.

وأما حدّ الكتاب - اصطلاحا - : فهو الكلام المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلا متواترا¹.

فخرج بقوله: " المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف " سائر الكتب، والأحاديث القدسية، والأحاديث النبوية، وغيرها.

وخرج بقوله " المنقول نقلا متواترا " القراءات الشاذة "

وقد أورد على هذا الحدّ أن فيه دورا، لأنه عرف الكتاب بالمكتوب في المصاحف، وذلك لأنه إذا قيل: ما المصحف؟ فلا بد أن يقال: هو الذي كتب فيه القرآن.

وأجيب: بأن المصحف معلوم في العرف، فلا يحتاج إلى تعريفه بقوله الذي كتب فيه القرآن.

وقيل في حدّه: هو اللفظ العربيّ المنزّل للتدبر و التذکر المتوتر، فاللفظ جنس يعمّ الكتب السماوية، وغيرها.

والعربي: يخرج غير العربيّ من الكتب السماوية، وغيرها.

والمنزّل: يخرج ما ليس بمنزل من العربي.

وقوله: للتدبر والتذكر لزيادة التوضيح، وليس من ضروريات هذا التعريف.

والتدبر: التفهم لما يتبع ظاهره من التأويلات الصحيحة، والمعاني المستنبطة.

والتذكر: الاتعاظ بقصصه وأمثاله.

وقوله المتواتر: " المتوتر " يخرج ما ليس بمتواتر، كالقراءات الشاذة، و الأحاديث القدسية.

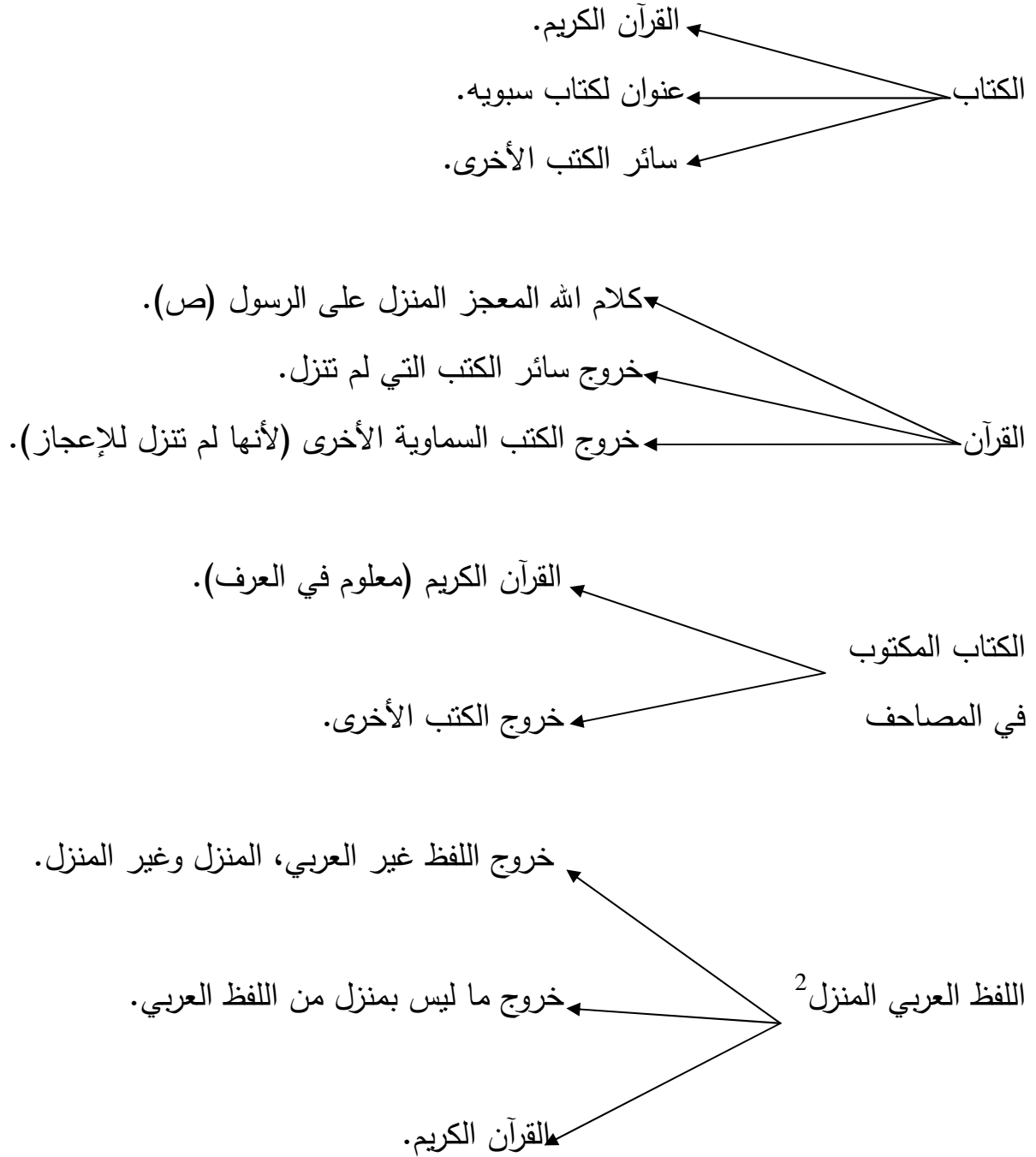
وقيل في حدّه: هو الكلام المنزّل للإعجاز بسورة منه.

فخرج الكلام الذي لم ينزل، والذي نزل لا للإعجاز كسائر الكتب السماوية و السنة.

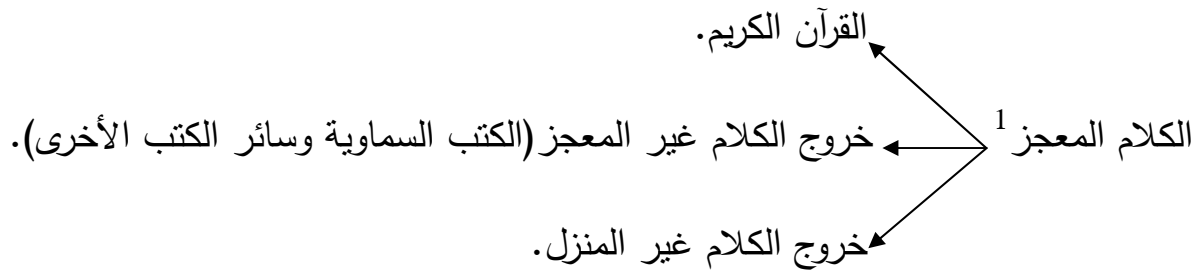
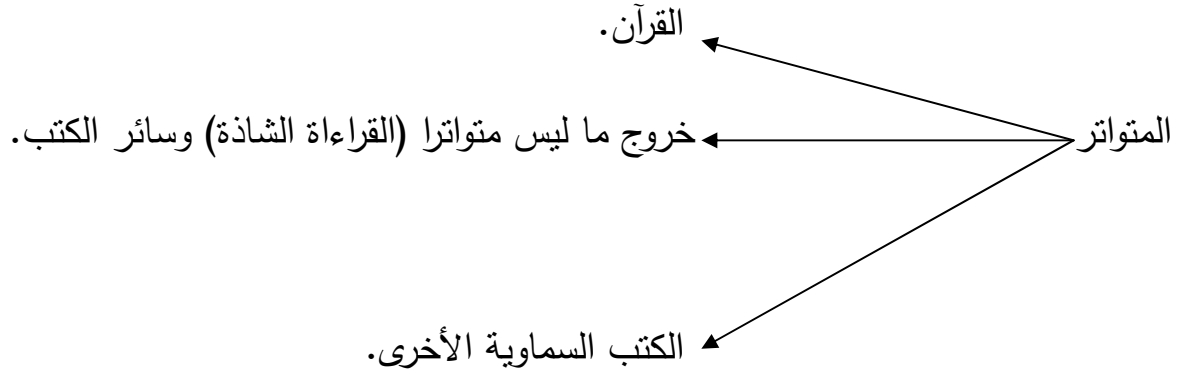
و المراد بالإعجاز: ارتقاؤه في البلاغة إلى حدّ خارج عن طوق البشر، ولهذا عجزوا عن

معارضته عند تحديهم¹.

1- المرجع السابق، ص 169-170.



1- المرجع السابق، ص170.
2- الشوكاني المعنون ب إرشاد الفحول ص170.



ويظهر الفعل التقرير أو الإخباري في هذه النص، والحاصل أنّ ما اشتمل عليه المصحف الشريف، واتفق عليه القراء المشهورون فهو قرآن، وما اختلفوا فيه، فإن احتمل رسم المصحف قراءة كلّ واحد من المختلفين مع مطابقتها للوجه الإعرابي، والمعنى العربي فهي قرآن كله، وإن احتمل بعضها دون بعض، فإن صحّ إسناد ما لم يحتمله، وكانت موافقة للوجه الإعرابي، والمعنى العربي، فهي القراءة الشاذة، ولها حكم أخبار الآحاد في الدلالة على مدلولها.

وأما ما لم يصحّ إسناده ممّا لم يحتمله الرسم، فليس بقرآن ولا منزل منزلة أخبار الآحاد. يثبت الشوكاني أن ما صحّ إسناده باحتمال رسم المصحف واستقام وجهه في اللغة العربية – موافقة الوجه الإعرابي و المعنى العربي – فهو من القراءات السبع المنصوص عليها (لغات

1- المرجع السابق، ص.170.

العرب)، هو القرآن كله، وإن احتل بعضها دون بعض هي قراءات شاذة لها حكم إخبار الأحاد في الدلالة على مدلولها.

وأما ما لم يحتمل الرسم ولا النطق فهو ليس بقرآن، ولا منزل منزلة الأحاد.

وقد وظف الشوكاني حروف التوكيد خاصة أداة (أنّ) في النص عدة مرات لتوكيد الخبر وإفادة القارئ أو المتلقي بصحته وبيقينه ودرئ الشك والريب عنه.

" التأكيد " هو معنى مستفاد من صيغ و أساليب لغوية معينة في اللغة العربية، وهو عرض تواصلية، يستخدمه المتكلم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب...¹

4-2- السنة النبوية:

اعلم أنّه قد اتفق من يعتدّ به من أهل العلم على أنّ السنة المطهّرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: ﴿ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه﴾.

أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن. وذلك كتحریم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كلّ ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وغير ذلك مما لا يأتي عليه الحصر.

وأما ما يروى من طريق ثوبان في الأمر بعرض الأحاديث على القرآن، فقال يحي بن معين: إنه موضوع، وضعته الزنادقة.

وقال الشافعي: ما رواه أحد عمّن يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير.

1- التداولية عند العلماء العرب، ص 205-206.

وقال ابن عبد البر: " في كتاب، جامع العلم " قال عبد الرحمان بن مهدي: الزنادقة و الخوارج وضعوا حديث ﴿ ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف فلم أقله ﴾ .

وقد عارض حديث العرض قوم، فقالوا: عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فخالفه، لأننا وجدنا في كتاب الله ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾، {سورة الحشر:7}، ووجدنا في: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾، {سورة آل عمران:31} ، ووجدنا فيه: ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾، {سورة النساء: 09}، ووجدنا فيه: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾، {سورة النساء:80}.

قال الأوزاعي: الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب.

قال ابن عبد البر: يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه. وقال يحي بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب.

الحاصل أن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، لا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في دين الإسلام¹.

استهل الشوكاني هذا النص (مقصد السنة النبوية)، في الفقرة الأولى بفعل الأمر - اعلم - بغية التأثير ولفت انتباه المتلقي، المسلم لأهمية موضوع السنة النبوية المطهرة، والتأكيد على أنها شرح وبيان للقرآن الكريم، ومصدر من مصادر التشريع بعده، فهي مستقلة بتشريع الأحكام و تحليل الحلال و تحريم الحرام حسبه، لقول الرسول- صلى الله عليه وسلم - : ﴿ ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، يقصد السنة النبوية الشريفة ﴾ .

1- ك ت: ارشاد الفحول، ص 189.

تتمثل السنة النبوية الشريفة في أفعال وأقوال وتقريرات المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهي وحي من عند الله عز وجل لأن الرسول لا ينطق عن الهوى وإنما هو وحي يوحى إليه من قبل ربه.

أما الجزء الثاني النص دحض الشوكاني بالحجة والبرهان، من منظور تداولي بحت. بحيث ربط الحديث السابق ومدى عدم صحته بمقارنته بمجموعة من الآيات القرآنية وعدم مطابقتها لها بحسب السياق ومقام التواصل.

إنه إزالة للشبهة والشك من صحة الحديث الذي وضعه الزنادقة المنافقون والخوارج المتمثل في هذا القول: ﴿ ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإذا وافق كتاب الله فأنا قلته، وإن خالف فلم أقله استشهد الشوكاني بمجموعة من الآيات الكريمة التي تدحض وتبين عدم صحة هذا القول ۞.﴾

فكيف تعرض سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وهي وحي يوحى كما ذكرنا سابقا، بمعناه ولكن بلفظ النبي - صلى الله عليه وسلم - فوجدا تناقضا واضحا بين هذا القول المنسوب إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكتاب الله سبحانه وتعالى وهذا ما لا يجب أن يكون، فخالف القرآن الكريم لما وجد ما يعارضه فيه، مثل قوله تعالى: ﴿ ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فانتهاوا ۞، {الحشر:7}، ووجد فيه أيضا قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله، فاتبعوني يحبكم الله ۞، {سورة آل عمران:31}، ووجد كذلك قوله: ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ۞، {سورة النساء:10}... الخ من الشواهد القرآنية.

فالحاصل حسب الشوكاني ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية لشرح وتوضيح لما سكت عنه القرآن.¹

تنقسم السنة النبوية إلى قسمين من الأحاديث:

1 - المرجع السابق، ص189.

" الحديث المقبول": الصحيح و الحسن، و الصحيح لغيره، و الحسن لغيره.

مثل: صحيح البخاري، صحيح مسلم، و موطأ مالك و غيرهم.

" الحديث المردود": منها الضعيف و المضعف والمتروك و المطروح و الموضوع منه¹

4-3- الفرق بين القرآن والسنة النبوية من خلال النصين يتمثل فيما يلي:

- القرآن قطعي الثبوت، أما الحديث هو ظني الثبوت.

- القرآن كلام الله المنزل على الرسول - صلى الله عليه و سلم - هو وحي بلفظه ومعناه.

- السنة النبوية هي وحي من الله إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمعناه ويلفظ الرسول.

- تقدم القرآن في المنزلة من حيث التشريع.

5- معاني صيغة " الأمر":

أن أهل اللغة يستعملون لفظ الأمر في الفعل، وظاهر الاستعمال الحقيقية، وأما مجرد استعمالها فقد تستعمل في معان كثيرة.

قال الرازي في " المحصول ": قال الأصوليون: صيغة ﴿ افعل ﴾، مستعملة في خمسة

عشر وجها:

للإيجاب: كقوله: ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾، {سورة البقرة:43}.

و للندب: كقوله: ﴿ فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ﴾، {سورة النور:33}.

1- المرجع السابق، ص 189.

و يقرب منه التأديب كقوله- صلى الله عليه وآله وسلم - لابن عباس: >> كل مما يليك<<.

فإنّ الأدب مندوب إليه، وإن كان قد جعله بعضهم قسما مغايرا للمندوب.

و للإرشاد: كقوله: ﴿ فاستشهدوا ﴾، {النساء:10}، ﴿ فاكتبوه ﴾، {سورة البقرة: 283}.

و الفرق بين الندب والإرشاد، أنّ الندب لثواب الآخرة، والإرشاد لمنافع الدنيا، فإنه لا ينتقص الثواب بترك الاستشهاد في المدينت، ولا يزيد بفعله.

و للإباحة: ك: ﴿ كولوا واشربوا ﴾، {سورة الحاقة: 24} .¹

و للتهديد: ك: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾، {سورة فصلت:40}، ﴿ واستفز من استطعت ﴾، {سورة الإسراء:64} .

ويقرب منه الإنذار، كقوله: ﴿ قل تمتعوا ﴾، {سورة إبراهيم:30}، وإن كانوا قد جعلوه قسما آخر.

وللامتتان: ﴿ فكلوا مما رزقكم الله ﴾، {سورة النحل: 114}.

وللإكرام: ﴿ ادخلوها بسلام آمين ﴾، {سورة البقرة:46}.

وللتسخير: ﴿ كونوا قردة ﴾، {سورة البقرة:65}.

وللتعجيز: ﴿ فأتوا بسورة ﴾، {سورة البقرة:23}.

وللإهانة: ﴿ ذق إنك العزيز الكريم ﴾، {سورة الدخان:49}.

وللتسوية: ﴿ اصبروا أو لا تصبروا ﴾، {سورة الطور:16}.

1- نص الشوكاني، ص 452-453.

و للدعاء: ﴿رب اغفر لي﴾، {سورة ال أعراف:101، سورة نوح:21}.

و للتمني: كقوله: ﴿ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي...﴾.

و للاحتقار: ﴿القوا ما أنتم مَلقون﴾، {سورة يونس:80، سورة الشعراء:43}

و للتكوين: ﴿كن فيكون﴾، {سورة آل عمران09}، فهذه خمسة عشر معنى، ومن جعل

التأديب والإنذار معنيين مستقلين جعلهما سبعة عشر معنى، وجعل بعضهم من المعاني.

الإذن: نحو ﴿كلوا من الطيبات﴾، {سورة المؤمنون:51}¹.

والخبر: نحو ﴿فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا﴾، {سورة التوبة:82}.

والتفويض: نحو ﴿فاقض ما أنت قاض﴾، {سورة طه:72}.

والمشورة: كقوله: ﴿فانظر ماذا ترى﴾، {سورة الصافات:102}.

والاعتبار: نحو ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾، {سورة الأنعام:99}.

والتكذيب: نحو ﴿قل هاتوا برهانكم﴾، {سورة البقرة:111}.

والالتماس: كقولك لنظيرك ﴿افعل﴾، .

والتلief: نحو ﴿موتوا بغيبكم﴾، {سورة آل عمران:119}.

والتصبير: نحو ﴿نرهم يخوضوا و يلعبوا﴾، {سورة المعراج:32}.

فتكون جملة المعاني ستة وعشرون معنى.²

1- نص الشوكاني، ص 454.

2- نص الشوكاني، ص 454.

6- معاني النهي:

فذهب الجمهور إلى أنّ معناه الحقيقي هو التحريم. وهو الحقّ، ويرد فيما عداه مجازاً، كما في قوله- صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : ﴿ لا تصلّوا في مبارك الإبل ﴾، فإنّه للكراهة.

وكما في قوله: ﴿ ربّنا لا تزغ قلوبنا ﴾، {سورة آل عمران:8}، فإنّه للدعاء¹.

وكما في قوله: ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾، {سورة المائدة:101}، فإنّه للإرشاد.

وكما في قول السيد لعبده الذي لم يمتثل لأمره: لا تمتثل لأمرى! فإنّه للتهديد.

وكما في قوله: ﴿ ولا تمدّ نّ عينيك ﴾، {سورة طه:131}، فإنّه للتحقير.

وكما في قوله: ﴿ ولا تحسبنّ الله غافلاً ﴾، {سورة إبراهيم:42}، فإنّه لبيان العاقبة.

وكما في قوله: ﴿ لا تعذروا اليوم ﴾، {سورة التحريم:7} ، فإنّه للتأييس.

وكما في قولك لمن يساويك: ﴿ لا تفعل ﴾، فإنّه للالتماس.

والحاصل: أنّه يرد مجازاً لما ورد له الأمر - كما تقدم -، ولا يخالف الأمر إلا في كونه

يقتضي التكرار في جميع الأزمنة، وفي كونه للفور، فيجب ترك الفعل في الحال².

7- الأفعال الإنجازية المباشرة:

وصف سيرل الإنجاز الصريح و الأولي وحدد الأفعال الإنجازية تصنيفاً جديداً بناء على

أطروحات أوستين فقد صنفها إلى، الفعل الإنجازي المباشر و الفعل الإنجاز غير المباشر،

1- المرجع نفسه، ص 496-497.

2- المرجع نفسه، ص 496-497.

و الفعل المباشر عند سيرل هو الفعل الذي يطابق قوته الإنجازية مراد المتكلم، أي أن يكون القول مطابقا للقصد حرفيا، و يتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع المتلقي أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معا¹، أي " يفترض في الفعل الإنجازي المباشر أن لا تكون به حاجة إلى تبیین لأي معنى زائد فهو يقدم منطوقا " محدودا واضحا " لا يحمل التأويل ولا يقصده، وهذه الخصیصة تتبع من المباشرة التي سمي الفعل في ضوئها بالإنجازي المباشر"².

مثال على ذلك هذه الفقرة من كتاب الشوكاني والمراد بالأحرف السبعة: لغات العرب، فإنها بلغت سبع لغات اختلفت في قليل من الألفاظ و اتفقت في غالبها، فما وافق لغة من تلك اللغات فقد وافق المعنى العربي و الإعرابي³.

الأحرف السبعة: هي معظم اللهجات العربية المنتشرة في الشبه الجزيرة العربية، وهي سبع لهجات متفرقة مثل لهجة قريش، لهجة كنانة، ولهجة هذيل، وغيرها، وغرض نزول القرآن بهذه الأحرف السبعة هو التبشير على الأمة في قراءتها للقرآن الكريم⁴.

مثال 2: قيل في السنة: هي العبادات النافلة، و في الأدلة ما يصدر عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - من غير القرآن من قول وفعل وتقرير،⁵ تعريف اصطلاحی للسنة النبوية الشريفة.

8- الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

أما بالنسبة للأفعال غير المباشرة فقد يرمي المتكلم من خلاله قوله إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي، مثلما هو الشأن في " التلميحات "، ومن أجل

1- ينظر الأفعال الإنجازية: ص 98.

2- المصدر نفسه ص 98.

3- الشوكاني، ص 186.

4- المرجع نفسه، ص 186.

5- المرجع نفسه، ص 186.

تفسير الجملة الإستعارية ميز " سيرل searl " بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذين المعنيين لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر، ولقد >> حدّد "سيرل" مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة هذا الجانب من مشكلة الاستعارة، وهما مصطلح (معنى منطوق المتكلم) و (معنى الجملة) ورأى أن المعنى الإستعاري هو معنى منطوق المتكلم <<.

مثال على ذلك: >> عن انكار فعل فعل بين يديه، أو في عصره، أو يسكت عن انكار فعل فعل بين يديه، أو في عصره، وعلم به، فإن ذلك يدل على الجواز، وذلك (كأكل الضرب بحضرتة).

فعل فعل بين يديه أي في حضرتة وسكت عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، (كناية).

مثال 2: استعمال المجاز في قول الشاعر (المعري): تخبرك العينان ما القلب كاتم.

9- الاستعارة:

تدخل الاستعارة في ضمن الأفعال الإنجازية غير المباشرة التي تعتمد على معنى المعنى.

وقد عرفها عبد القاهر الجرجاني:

قال: " فالاستعارة " أن تريد التشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّيه عليه تريد أن تقول رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول: " رأيت أسد " ¹.

1- دلائل الإعجاز: ص 67.

و قال أيضا: ليست الاستعارة نقل الاسم، ولكن ادعاء معنى الاسم، وكنا إذا عقلنا من قول الرجال رأيت أسدا، أنه أراد به المبالغة في وصفه بالشجاعة وأن يقول: انه من قوة القلب، ومن فرط البسالة و شدة البطش¹.

أما " سبرس " و " ولسن " فقد عرّفا الاستعارة بأنها: " كل جملة يتم التلفظ بها في مقام مخصوص وتؤول وفق سياق معين "².

ولقد بين " سيرل " أن الاستعارات لا تشتغل بالضرورة وفق التشابه، خلافا لما يزعمه فهم شائع للظاهرة، فجملة (جون دب لم تلحسه أمه جيدا) لا تعني أن جون و الدببة التي لم تلحسها أمهاتها جيدا، لها نقطة تشابه، الغلظة و الرعونة "³.

10- المجاز:

عرف الجرجاني المجاز بأنه: >> كل كلمة أريد بها غير ما وقعت وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني و الأول فهي مجاز، إن شئت قلت: كل كلمة جرت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز <<⁴.

أما " رومان جاكبسون " فقد عرف المجاز بأنه: >> أما المجاز المرسل فهو مسار يقوم على التوليف، إذ يحذف المتكلم جزءا من خطابه "⁵.

من خلال هذه النصوص بأنه يمكن التوصل إلى هذه الفنون عن طريق المعنى الثاني وليس عن طريق المعنى الحرفي و من خلال الدلالة و التأويل ما بين (المتكلم و السامع) من خلال السياق.

1- المصدر نفسه، ص 246.

2- التداولية اليوم: ص 186.

3- التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 73.

4- أسرار البلاغة، ص 228.

5- التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 78.

11- مفهوم التعاون:

يفترض " غرايس " أن المتخاطبين المساهمين في محادثة مشتركة يحترمون مبدأ **التعاون**، فالمشاركون يتوقعون أن يساهم كل واحد منهم في المحادثة بكيفية عقلانية ومتعاونة لتيسير تأويل أقواله، يشرح غرايس هذا المبدأ مقترحا أربعة قواعد متفرعة، من المفترض أن يحترمها المتخاطبون وأن يستغلوها، وهي **قاعدة الكم** التي تفترض أن تتضمن مساهمة المتكلم حدا من المعلومات يعادل ما هو ضروري في المقام ولا يزيد، و **قاعدة النوع** التي تفترض نزاهة القائل الذي ينبغي أن لا يكذب وأن يملك الحجج الكافية لإثبات ما يثبتته، و**قاعدة العلاقة (أو المناسبة)** التي تفترض أن يكون حديثنا داخل الموضوع... و **قاعدة الكيف** التي تعني أن نعبر بوضوح و بلا لبس قدر الإمكان و نقدم المعلومات بترتيب مفهوم (مثلا: الترتيب الزمني عندما نروي سلسلة من الأحداث)¹.

هذا المبدأ يتجلى في الحديث الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم، وبين معاذ بن جبل: >> أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: كيف إذا عرض لك القضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله؟ قال أجتهد رأي ولا آلو! فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره و قال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله.

وفيه تتحقق القواعد المتفرعة من مبدأ التعاون فالحوار الذي دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاذ بن جبل يتضمن مساهمة كلا المتخاطبين بقدر كاف من المعلومات التي تحمل في طياتها نزاهتهما وصدقهما باستعراض معاذ لحجج كافية ليظهر ويبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرته على إدارة الأمور وتولي القضاء و الحكم بكتاب الله وسنته رسوله صلى الله عليه وسلم وإن لم يجد يفتح باب الاجتهاد في القضاء.

1- التداولية اليوم علم جديد التواصل، ص 55-56.

فالحديث الذي دار بين معاذ ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان كاملا و شاملا تام المعنى، فداخلا في الموضوع مباشرة دون أي مقدمات وكان واضحا وضوح الشمس لا غموضا فيه، وترتيب المعلومات في الحوار كان ترتيبا متناسقا و منطقيًا. أي(القضاء بالقرآن، والسنة، والإجتهد) لأن أساس الحكم هو العدل.

الخاتمة

خاتمة

يعد تناول **التداولية** بكل أبعادها وما قدمته للدرس اللساني له أهمية كبيرة في دراسة اللغة التي نتواصل بها، في ضوء السياق والظروف المحيطة بها، وبعد الرحلة الطويلة في رحاب كتاب **الشوكاني " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول "** ونتيجة لذلك نشير إلى أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

يعد التراث العربي حلقة أساسية لفهم كل ما جاءت به اللسانيات الحديثة إذ أنها تلتقي مع التراث كثيرا و إن ما جاءت به اللسانيات الحديثة مستمد من هذا التراث الضخم ومن الأمثلة على ذلك مراعاة المخاطب و قاعدة أمن اللبس و غيرها.

اهتم **الشوكاني والعلماء الأصول** باللفظ وعلاقته بالمعنى وهو ما يسمى بالدلالة لأنه بواسطتها يتحقق التواصل و التفاهم و يسهل التخاطب، لأن التمكن في اللفظ ودلالته يجعلنا في مأمن من أي تعثر في الإستنباط، لأن موضوع اللفظ هو فهم للنص الحامل للأحكام الشرعية.

لقد كان في مقدمة ما اهتم به **الشوكاني** من خلال كتابه بدور السياق لفهم معاني **القرآن الكريم** وسنة **المصطفى - صلى الله عليه وسلم -**، فالعلم **بالقرآن والسنة** من لوازمه العلم باللغة بكل مستوياتها، مع مراعاة السياق في استنباط المعاني من النص الشرعي.

إن نظرية **أفعال الكلام** التي جاء بها كل من **"أوستين"** و تلميذه **"سيرل"** وتقسيمهما لأفعال الكلام بكل أنواعها (**فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل التأثيري**)، وكذلك **الأفعال المباشرة وغير المباشرة** لها جذور في نصوص الكتاب والتي اصطلح عليها في التراث العربي بالخبر والإنشاء.

يظهر الحجاج في كل نصوص الكتاب وبكثرة باتخاذ **الشوكاني** للمواقف في كل القضايا التي عرضها في النصوص بغرض اقناع القارئ وبغية التأثير فيه.

يحتوي الكتاب " إرشاد الفحول إلى تحقيق من علم الأصول " على أفعال تقريرية عديدة وذلك لتأكيد المسائل الشرعية التي تناولها الشوكاني فيه التي يتضمنه في كل مقاصده .

إن التداولية تتطلب النظر في مضمون كلام المتكلم ونوايا المستمع وفق اعتبارات مختلفة كهوية المخاطب، مكان وزمان الخطاب والظروف التي يكتنفها الخطاب، ويكمن البحث التداولي في كونه يهدف إلى الإجابة عن بعض الأسئلة مثل: من يتكلم؟ من هو المتلقي؟ ما مقصديتنا أثناء الكلام؟ وكيف نتكلم بشيء و نسعى لقول شيء آخر؟.

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر لطباعة و النشر، بيروت، المجلد، 11دول.
- 2- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة.
- 3- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري: 189.
- 4- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام محمد بن علي الشوكاني - رحمه الله تعالى - تحقيق و تعليق أبي حفص سامي بن العربي الأثري - عفا الله عنه -، الجزء الأول : دار الفضيلة ،حقوق الطبع محفوظة ،الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م،دار الفضيلة للنشر و التوزيع الرياض 11433-ص.ب 10387، تليفاكس2333023.
- 5- المناهج في ترتيب الحجاج تحقيق عبد المجيد التركي، أبو العيد الباجي، دار الغرب الإسلامي، ط2، المغرب 198.
- 6- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، جويلية 2005.
- 7- الأسس الإستمولوجية، والتداولية للنظر النحوي عند سبويه، د. ادريس مقبول.
- 8- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي مؤيد آل صونيت.
- 9- التداولية اليوم، جورج يول، ترجمة، د: قصي العتابي، الدار العربية للنشر، ط1، 2010.
- 10- التداولية اليوم، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة، د. سيف الدين دغفوس، د. محمد الشيباني، المنظمة العربية، بيروت.

- 11- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة، د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، مراجعة، د. لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان.
- 12- التداولية عند العلماء العرب 26-27. التداولية، تأليف جورج يول، ترجمة د: قصي العتابي.
- 13- التداولية عند علماء العرب، الأسس الإبستمولوجية والتداولية، 265-266، شظايا لسانية، علاقات الحضور والغياب ص21، والتداولية جورج يول.
- 14- التداولية من أوستين إلى غوفمان، فيليب بلانشه، ترجمة صابر الحباشة، ط1، 2007، دار الحوار.
- 15- التداوليات والتحليل الخطاب، د. جميل حمداوي، ط1، 2015م، مكتبة الموثق.
- 16- الوظائف التداولية في اللغة العربية، أحمد المتوكل، مطبعة النحل الجديدة الدار البيضاء، المغرب، 1985.
- 17- القرآن الكريم وبهامشه مختصر من تفسير الإمام الطبري للتيحني، مذيلا بأسباب النزول للنيسابوري، والمعجم المفهرس لمواضيع آيات القرآن الكريم لمروان عطية، قدم له وراجعته مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، ط7، 1995.
- 18- الملفوظية - دراسة - ترجمة الدكتور قاسم المقداد، من منشورات اتحاد كتاب العرب، جان سيرفون.
- 19- التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل، دار التنوير، بيروت، 1993.
- 20- اللسان و الميزان، أو التكوثر العقلي، المرآة الثقافي العربي، طه عبد الرحمان، ط1، 1998.

- 21 - محاضرات في اللسانيات التداولية، د. خديجة بوخشة.
- 22- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دار المدني، جدة، ط3، 1992.
- 23- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغين العرب، طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعة جامعة الكويت، 1994، المقدمة.
- 24- نظرية الفعل الكلامي، هشام إ، عبد الله خليفة.
- 25- نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، كلية الأدب و العلوم الإنسانية والإجتماعية.
- 26- مقدمة في علم الدلالة الألسني، هريرت بركلي، ترجمة، قاسم مقداد، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط1، 1990.
- 27- نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ص14، ملاوي صلاح الدين، كلية الأدب الإنسانية و الاجتماعية ص14، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
- 28- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2003.
- 29- علم اللغة العام، فردينان دوسوسير، ترجمة يوثيل يوسف، دار الكتب للطباعة و النشر و التوزيع، بيت الموصل، بغداد، العراق، 1988.
- 30- قضايا ابستمولوجية، في اللسانيات، حافظ إسماعيل علوي، أ. محمد الملاخ.
- 31- قاموس المحيط، الفيروز أبادي: 377/3، مختار الصحاح، أبي بكر.
- 32- شظايا لسانية، د. مجيد الماسطة.

33- لسانيات التلّظ وتداولية الخطاب، ذهيبية حمو الحاج.

(ج) المجلات والرسائل الجامعية:

1- التداولية في الفكر الأنجلوساكسوني، المنشأ الفلسفي والمآل اللساني، ملتقى علم النص، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 17، 2006.

2- نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة والأدب (ملتقى علم النص)، نصيرة غماري، العدد 17.

3- تداولية اللغة بين الدلالة و السياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترفيه اللغة العربية، الجزائر، العدد 10، 2005.

4- التداولية واللسانيات، مجلة اللغة والادب (ملتقى علم النص)، العدد 17، طاهر لوصيف، جامعة الجزائر العاصمة، جانفي 2016م.

5- مذكرة التخرج لإستكمال شهادة الماستر تخصص علوم اللسان، ظواهرالتداولية في الخطاب القرآني - سورة القصص أنموذجا - من اعداد الطالبتين - فضيلة بوعافية - مديحة قارة. 2011-2012.

6- التحليل عبر اللساني بين الجملة و النص، توصيف و مناقشة، جامعة سعيدة، الجزائر، د. هواري بلقدوس، 1998 252.

(د) المصادر باللّغة الأجنبية:

1- Debois et AL 1994 Dictionnaire de linguistique et sciences du language, librairie la rousse , p : 375

extention toute enonciation supposant un locuteur et un auditeur , et chez –2
Emille benveniste problemes de le premier l intention d influence d autre en
.quelque manier linguistique général op cit p 242.–2

.FRANCIN MAZIERE : L' ANALYSE DE DISCOURS P3.–3

–4 الأنترنت BRAHIMBLOGSOT.COM

LE GRAND ROBERT : DICTIONNAIRE DE LA LANGUE FRANCAISE ,T-5
1, PARIS ,1989,P.5 35.

PHILIP BRETON, L' ARGUMENTION DANS LA –6
COMMUNICATION, ALGER. CASBAH, 1998, p .4.

ANSCOMBERE ET DUCROT : L' ARGUMENTION DANS LA –7
LANGUE, PHILOSOPHIE ET LANGAGE TROISIEME ÉDITION
.MARDAG, P.05

الفهرس

الفهرس

كلمة شكر

مقدمة

الفصل الأول: ماهية التداولية وحدودها.

5	تعريف التداولية لغة
5	في المعاجم العربية
7	في المعاجم الغربية
7	تعريف التداولية اصطلاحاً
7	عند علماء وفلاسفة الغرب
12	عند علماء العرب المحدثين
13	إشكاليات المصطلح عند علماء العرب
14	نشأة التداولية
17	أبرز مفاهيم التداولية
17	نظرية التفظ
19	مرجعيات الملفوظية
19	الإشارات
20	الخطاب
20	قوانين الخطاب

21	قانون الشمولية
21	قانون الصياغة
22	قانون التناسب
22	قانون التوجه
23	الحجاج
24	أفعال الكلام
25	فعل القول
25	المستوى الصوتي
25	الفعل التعبيري
26	الفعل البلاغي
26	الفعل المتضمن في القول
27	الفعل التأثيري (الفعل الناتج عن القول)
28	الأفعال الحكيمة
28	الأفعال التوجيهية
28	الأفعال الإلزامية
29	الأفعال التعبيرية
29	الحكميات (الإعلانات)
29	الفعل المباشر

30	الفعل غير المباشر
30	الإخباريات
30	الطلبات
31	الوعديات
31	الإفصاحات
31	التصريحات
31	متضمنات القول
32	الإفترض المسبق
33	الأقوال المضمرة
34	الاستلزام الحوارى
34	قواعد المحادثة (بول غرايس)
35	علاقة التداولية بالعلوم الأخرى
35	علاقة التداولية باللسانيات البنوية
35	علاقة التداولية بتحليل الخطاب
36	علاقة التداولية بمستويات اللغة (النحو والدلالة)
37	المنطق
38	الفرق بين الرؤية التداولية والرؤية الدلالية
38	المجالات التي تهتم بها التداولية

- 39----- تصنيف العرب القدامى لأفعال الكلام
- 40----- معايير تمييز علماء العرب بين الخير والانشاء
- 41----- أفعال الكلام عند العرب القدامى
- 41----- القسم الأول: الخبر
- 43----- القسم الثاني: الانشاء
- 43----- الانشاء الطلبي
- 46----- الانشاء غير الطلبي
- الفصل الثاني: التداولية عند علماء الأصول، الشوكاني أنموذجاً.**
- 49----- نبذة تاريخية عن حياة الشوكاني
- 49----- اسمه ونسبه
- 49----- ولادته
- 49----- نشأته
- 50----- طلبه للعلم
- 52----- شيوخه
- 53----- بعض تلاميذه
- 54----- بعض مؤلفاته
- 55----- توليه القضاء الأكبر
- 57----- وفاته

62	التخصيص
64	الحجاج
66	الخبر
66	التقرير والتأكيد
72	السنة النبوية
75	الفرق بين القرآن والسنة النبوية
75	معاني صيغة الأمر
78	معاني النهي
78	الأفعال الإنجازية المباشرة
79	الأفعال الإنجازية غير المباشرة
80	الإستعارة
81	المجاز
82	مفهوم التعاون
86	الخاتمة
88	قائمة المصادر والمراجع
94	الفهرس